أثر
القواعد اللغوية
في نصرة عقيدة أهل السنة والجماعة

تأليف
أبي محمد وليد بن سلمان

دار ابن حزم

مكتبة المهتدين الإسلامية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٦/١٥٤٣)

٢٤٠

سلمان، أبي محمد وليد
أثر القواعد اللغوية في نصرة عقيدة أهل السنة
والجماعة/ أبي محمد وليد سلمان. عمان: المؤلف، ٢٠٠٤
( ) ص.
ر.إ: (٢٠٠٤/٦/١٥٤٣)
الواصفات: / العقيدة الإسلامية/ / الإسلام/

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

http://www.al-maktabeh.com

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله ؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ـ ﷺ ـ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

ثم إني عندما اطلعت على كتاب « **الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية** » للإسنوي، وكتاب « **أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية** »

مكتبة المهتدين الإسلامية

للسعدي، وقع في قلبي؛ لو أن عقيدة أهل السنة والجماعة خُدمت بقواعد اللغة العربية ـ كما خُدم الفقه وغيره ـ برسالة مستقلة، إذ لم أقف على تصنيف مستقل خص هذا الموضوع ، فتحقيق العقيدة في حياة الناس من أعظم القربات إلى الله ـ تعالى ـ .

واعلم أن اللغة العربية من الأهمية بمكان، فهي الوسيلة العظمى لفهم كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ـ ﷺ ـ .

والكتاب والسنة: هما الأصلان اللذان يعتمد عليهما في بيان توحيد الله ـ تعالى ـ ؛ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته .

وكنت قد خرجت بنتيجة بعد دراسة: أن من أسباب الانحراف عن عقيدة أهل السنة والجماعة هو: القصور في معرفة اللغة العربية وفهمها، فترى بعضهم قد علم شيئًا من اللغة بنى مذهبه عليه، وغابت عنه أشياء؛ لو جمع فيها الباب؛ لوقف على ما ينقض مذهبه، وسوف ترى الأمثلة على ذلك فيما سيأتي .

وسبب اختياري لقواعد اللغة العربية؛ للذب عن عقيدة أهل السنة والجماعة، هو: أن جميع الفِرَق قد أجمعت ـ ولا أعلم خلافًا في ذلك ـ على أن اللغة العربية أداة لفهم الشريعة.

وكنت أود أن أُكثر من ذكر القواعد المؤيدة لعقيدة أهل السنة والجماعة، بل أود لو أفردت لكل فرقة من الفرق مصنفًا خاصًا، ولانشغالي في أبحاث لي، أرجأت هذا البحث، عسى الله ـ تعالى ـ أن يتم المراد؛ على يدي، أو يد

http://www.al-maktabeh.com

بعض المسلمين .

وقد نقلت أقوال أهل العلم، وشاركت بالنزر، وعملي أشبه بعمل ابن منظور في « اللسان »[١]، ومع هذا؛ أحببت أن أنشر ما تيسر لي جمعه، سائلاً ربي ـ عز وجل وعلا ـ أن ينفع به المسلمين، وأن يكتب لي الأجر والثواب، إن ربي سميع الدعاء، ورأيت من المناسب ـ قبل الشروع في المراد ـ أن أبين ما أدين الله ـ تعالى ـ به من معتقد:

بسم الله الرحمن الرحيم

أُشْهِدُ اللهَ ـ تعالى ـ ومن بلغ، أني أومن بكل ما جاء في القرآن الكريم، وما ثبت في الأحاديث الصحيحة؛ كحديث جبريل ـ عليه السلام ـ[٢] وما أجمع عليه سلف الأمة .

وأني أصف ربي ـ عز وجل ـ بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ـ ﷺ ـ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل ؛ بل أومن بأن الله ـ تعالى ـ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] .

---

(١) قال ابن منظور في « لسان العرب » (١/ ١٨): « وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها؛ سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ».

(٢) في الإسلام والإيمان والإحسان .

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولا أنفي عن ربي ـ عز وجل ـ ما وصف به نفسه، ولا ما وصفه به رسوله ـ ﷺ ـ ، ولا أُلْحِد في أسماء الله ـ تعالى ـ وآياته .

ولا أكيّف، ولا أمثّل صفات ربي ـ عز وجل ـ بصفات خلقه، وأومن بمعاني ألفاظ النصوص، وما دلت عليه، وأبرأ في باب صفات الله ـ تعالى ـ من طريقة أهل التعطيل: الجهمية، وأهل التمثيل: المشبهة .

وأومن أن الله ـ تعالى ـ لا سَمِي له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه .

وأنه ـ تعالى ـ فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، بائن[1] من خلقه، عليمٌ بهم، مطلع، مهيمن، رقيب عليهم، مجيب، قريب منهم، عليٌّ في دنوِّه، قريب في علوِّه .

وأن القرآن الذي بين أيدينا؛ هو كلام الله ـ تعالى ـ على الحقيقة، غير مخلوق، منه بدا، وإليه يعود، وهو الذي نزل على نبينا محمد ـ ﷺ ـ خاتم النبيين .

وأن من أنكر شيئًا من القرآن، أو ادعى فيه النقص، أو الزيادة، أو التحريف ؛ فقد كفر، وأن السنة تفسّر القرآن .

---

(١) قال شيخ الإسلام في « مجموع الفتاوى » (١ / ٣٦٧): « ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته » .
وقال الدكتور ناصر العقل في « مجمل أصول أهل السنة » (١٠): « وحدة الوجود واعتقاد حلول الله ـ تعالى ـ في شيء من مخلوقاته أو اتحاده به ؛ كل ذلك كفر، مخرج من الملة » .

http://www.al-maktabeh.com

وأومن أن الله ـ تعالى ـ أخذ الميثاق من آدم وذريته ، وقررهم بتوحيده ؛ فأقروا .

وأومن باليوم الآخر، وكل ما صح فيه من أخبار، وما يتقدمه من العلامات والأشراط، وما أخبر به النبي ـ ﷺ ـ بعد الموت ؛ من فتنة القبر، وعذابه ونعيمه، والبعث، والحوض، والحساب، والميزان، والصراط، والشفاعات، كل ذلك حق لا ريب فيه .

وأن الجنة والنار مخلوقتان، موجودتان الآن، لا تفنيان أبدًا، ولا يفنى جزء منهما .

وأن المؤمنين يرون الله ـ تعالى ـ في عَرَصَات[1] يوم القيامة ـ قبل دخولهم الجنة وبعد دخولهم ـ عِيانًا، كرؤية القمر ليلة البدر .

وأومن بالقدر؛ خيره وشره، وأن الله ـ تعالى ـ عليم بالخلق، وهم عاملون بعلمه القديم ؛ الذي هو موصوف به ؛ أزلاً وأبدًا، وأنه عَلِم جميع أحوالهم، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، فما أصاب الإنسان ؛ لم يكن ليخطئه، وما أخطأه؛ لم يكن ليصيبه .

وأومن أن الله ـ تعالى ـ خلق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، أمر عباده بطاعته، ونهاهم عن معصيته، يحب من يأتمر بأمره وينتهي عن نهيه،

---

(١) قال ابن منظور في « اللسان » (٧ / ٥٣): « العَرَصَات: جمع عَرْصَة، وقيل: هي كل موضع واسع لا بناء فيه »

مكتبة المهتدين الإسلامية

ويرضى عنهم .

ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم[١]، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وإرادتهم ، كما قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان:٣٠] . وأبرأ ـ في باب أفعال الله تعالى ـ من طريقة الجبرية، والقدرية .

وأن الإيمان قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح[٢]، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي .

وأن الكفر يكون: بالاعتقاد، والجحود، والشك، والقول ، والفعل، والترك، والإعراض .

وأبرأ ـ في باب مُسمَّى الإيمان والدين ـ من طريقة الحرورية، والمعتزلة، ومن المرجئة، والجهمية .

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في « شرح الواسطية » (٢/ ٦٢٧): « فعل العبد ناشئ عن أمرين: إرادة جازمة، وقدرة كاملة، والذي خلق الإرادة والقدرة ؛ هو الله ـ عز وجل ـ وخالق السبب، خالق لما ينتج عنه ؛ وهو المسبب».

(٢) قال ابن منظور في « اللسان » (١٥ / ٤٢٥): « والأفعال تنسب إلى الجوارح، قال: وسميت جوارح لأنها تكتسب » .

http://www.al-maktabeh.com

ولا أُكَفِّر أحدًا من أهل القبلة[١]؛ بمطلق المعاصي والكبائر، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي[٢]، والفاسق الملِّي ؛ مسلم ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله ـ تعالى ـ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، ولا يخلد في جهنم .

وأبرأ ـ في باب وعيد الله تعالى ـ من طريقة المرجئة، والوعيدية .

ولا أقطع لأحد من أهل القبلة بجنة ولا نار ـ إلا من قطع له النبي ـ ﷺ ـ أرجو لمحسنهم، وأخاف على مسيئهم .

وأن خير هذه الأمة ـ بعد نبيها ـ ﷺ ـ أبو بكر ، ثم عمر، ثم عثمان ، ثم علي، ولا أطعن في خلافة أحد منهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ .

وأحب جميع أصحاب النبي ـ ﷺ ـ ، وأبغض من يبغضهم، وأتبرأ منه، ولا أذكرهم إلا بخير، وأثبت لهم ما ثبت من فضائلهم، وأقدم المهاجرين على الأنصار، ومن أنفق وقاتل قبل الفتح ؛ على من أنفق وقاتل

---

(١) وهو المسلم العاصي .

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في « شرح الواسطية » (٢/٦٤٧): « قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات:١٠] ؛ وعلى هذا؛ ففي الآية دليل على أن الكبائر لا تخرج من الإيمان، فإذا قلنا: إنه لا يخرج من الإيمان، ومررت بصاحب كبيرة؛ فإني أسلم عليه؛ لأن النبي ـ ﷺ ـ ذكر من حقوق المسلم على المسلم « إذا لقيته فسلم عليه » ، وهذا الرجل ما زال مسلمًا؛ فأسلم عليه ـ إلا إذا كان في هجره مصلحة ـ فحينئذ أهجره، كما جرى لكعب بن مالك وصاحبيه؛ الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فهجرهم المسلمون خمسين ليلة حتى

مكتبة المهتدين الإسلامية

بعد الفتح .

وأسكت عما شجر بينهم، فالذي جرى بينهم كان من قبيل الاجتهاد، فالمصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر واحد، والخطأ مغفور، ولا أدعي أن كل واحد منهم معصوم عن كبائر الإثم وصغائره .

وأحب آل بيت رسول الله ـ ﷺ ـ ، وأحسن القول في أزواجه الطاهرات، فهن لكل مؤمن أمهات، وأتبرأ ـ في باب أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من طريقة الروافض، والنواصب، والخوارج .

وأرى وجوب المحبة لأهل لا إله إلا الله، والبغض لأعدائها، وأن المؤمنين هم أولياء الله ـ تعالى ـ لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم .

وأن الله ـ تعالى ـ أسرى برسوله محمد ـ ﷺ ـ ، ليلاً بعد البعثة، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عُرج به إلى السماء ؛ بروحه وجسده يقظة، وأن الله ـ تعالى ـ كلم نبينا محمدًا ـ ﷺ ـ تلك الليلة من وراء حجاب .

وأثبت كرامات الأولياء؛ من خوارق العادات ـ الموافقة للكتاب والسنة ـ في الأمم السابقة، وفي أمة النبي محمد ـ ﷺ ـ إلى يوم القيامة ـ وليس كل أمر خارق للعادة كرامة ـ بل قد يكون استدراجًا، وقد يكون من تأثير الشياطين .

http://www.al-maktabeh.com

وأحب اتباع آثار الرسول ـ ﷺ ـ، والتمسك بما كان عليه أصحابه، والاقتداء بهم، وأرى أن الإحداث في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

وأرى التسليم لنصوص الكتاب والسنة، وأقدم كلام الله ـ تعالى ـ على سائر الكلام، وهدي النبي ـ ﷺ ـ على كل هدي[1]، ولا أعارض الكتاب والسنة بقياس، ولا ذوق، ولا كشف، ولا وجد، ولا خيال، ولا منطق، ولا قول إمام، ولا شيخ، ولا غير ذلك .

وأقول: إن إجماع السلف الصالح؛ هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين .

وأرى وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ـ لعموم الأمة ـ بالشروط الشرعية .

وأرى وجوب السمع والطاعة للأئمة المسلمين؛ أبرارًا كانوا أو فُسَّاقًا، ما لم يأمروا بمعصية؛ فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله ـ تعالى ـ، ولا أرى

---

(١) ينبغي الاهتمام بالقرآن الكريم: حفظًا وتلاوة وتفسيرًا، وبالسنة المطهرة: حفظًا وشرحًا ومعرفة لمقبولها من مردودها. قال ابن عبد البر في صحيح « جامع بيان العلم وفضله » (٤٨١): « طلب العلم درجات، ومناقل، ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة؛ فقد تعدى سبيل السلف ـ رحمهم الله ـ ومن تعدى سبيلهم عامدًا؛ ضل، ومن تعداه مجتهدًا؛ زل، فأول العلم؛حفظ كتاب الله ـ عز وجل ـ وتفهمه » .

قال الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (١ / ٦٠): « قال أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه: إن العالم إذا لم يعرف الصحيح، والسقيم، والناسخ، والمنسوخ من الحديث؛ لا يسمى عالمًا » .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الخروج عليهم، ولا منازعتهم الأمر؛ إلا أن نرى منهم كفرًا بَوَاحًا، عندنا من الله فيه برهان .

وأن الحج والجهاد ماضيان معهم، والصلاة خلفهم إلى يوم القيامة .

وأرى فرضية الحكم بما أنزل الله ـ تعالى ـ بين الناس جميعًا، المسلم منهم والكافر، لا فرق بين كبير وصغير، وغني وفقير، وشريف وضعيف، وعربي وأعجمي، وأسود وأحمر .

وأرى أن الكفر، والظلم، والفسق، والشرك، والنفاق ؛ كل يقسم إلى: أكبر وأصغر؛ وأن الأكبر ينقل عن الملة، والأصغر لا ينقل .

وأن العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ـ تعالى ـ ويرضاه ؛ من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأن من صرف شيئًا منها لغير الله فقد أشرك .

وأن الله ـ تعالى ـ يُعبد بالحب، والخوف، والرجاء، وأبرأ ـ في باب عبادة الله ـ تعالى ـ من طريقة الزنادقة، والحرورية، والمرجئة .

ولا أصدق كاهنًا، ولا عرَّافًا، ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

وأن التبرك، والرقية، والتوسل، وزيارة القبور؛ كل يقسم إلى: مشروع وممنوع، وأرى مَنْع تعليق التَّمَائِم، وإن كانت من القرآن والسنة .

وأرى أن التكفير من الأحكام الشرعية التي مردّها إلى الكتاب والسنة،

http://www.al-maktabeh.com

فلا يجوز تكفير مسلم بقول أو فعل ؛ ما لم يدل دليل شرعي على ذلك، ولا يلزم من إطلاق حكم الكفر ـ على قول أو فعل ـ ثبوت موجبه في حق المعيَّن ؛ إلا إذا تحققت الشروط، وانتفت الموانع .

وأرى أن الجماعة صواب، وأن الفرقة عذاب، وأن الجماعة هم أصحاب النبي ـ ﷺ ـ والتابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وكل من التزم بمنهجهم ؛ فهو من الجماعة، وإن أخطأ في بعض الجزئيات .

وأرى أن فِرَق أهل القبلة ـ الخارجة عن السنة ـ متوعدون بالنار، وحكمهم حكم عامة أهل الوعيد؛ إلا من كان منهم كافرًا في الباطن، وأن الفِرَق الخارجة عن الإسلام ؛ كُفَّار في الجملة[1] .

---

(١) قال سليمان الخثعمي في « كشف الأوهام » (١ / ٥٣): « على العبد أن يعتقد؛أن كل من دان بدين غير دين الإسلام؛ فهو كافر، وأن الله ـ سبحانه ـ لا يعذب أحدًا؛إلا بعد قيام الحجة عليه بالرسول، هذا في الجملة، والتعيين موكول إلى علم الله ـ تعالى ـ وحكمه، هذا في أحكام الثواب والعقاب، وأما في أحكام الدنيا؛ فهي جارية على ظاهر الأمر » .

* رجعت في متن هذه العقيدة إلى « أصول السنة» للإمام أحمد، و« تفسير الطبري »، و« لمعة الاعتقاد » لابن قدامة، و« الواسطية » لابن تيمية، و« العقيدة الطحاوية » للطحاوي، و« سلم الوصول » للحكمي، و« الفتاوى والبيانات التي صدرت من اللجنة الدائمة في التحذير من ظاهرة الإرجاء وبعض الكتب الداعية إليه »، و« أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر » للشيخ عبد العزيز الراجحي، و« التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد »، و« ملحق العقيدة الواسطية » للشيخ علوي، و« العقيدة الصافية » لسيد سعيد، و« التمائم التبرك المشروع والتبرك الممنوع » لعلي العلياني، و« مجمل أصول أهل السنة » لناصر العقل، وما ذكرته من المراجع في الهامش، والحق أن « العقيدة الواسطية » غلبت على المتن . ==

مكتبة المهتدين الإسلامية

❖ وبعد بيان هذا المعتقد؛ فإني أحمد الله ـ تعالى ـ أني عندما كتبته؛ لم أكن قد وقعت تحت تأثير شخص، ولا طائفة، ولا حزب، ولا زمرة، ولا جهة، ولا مركز، ولا مؤسسة، ولا هيئة، ولا دولة، ولا عالم، ولا طالب علم ـ سواء أكان من السابقين أو من المعاصرين ـ لأن انتمائي للكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة ـ ﷺ ـ أجمعين ـ فقط لا غير، فإن رأيتني أخذت من أحد، أو وافقته، فلقناعتي أنه وافق الحق؛ ليس إلا .

== * إن نسيتُ شيئًا في هذا المعتقد ينبغي ذكره؛ فإنه يدخل **تحت هموم قولي**: « أُشْهِدُ اللهَ ـ تعالى ـ ومن بلغ، أني أومن بكل ما جاء في القرآن الكريم، وما **ثبت في الأحاديث** الصحيحة كحديث جبريل ـ ﷺ ـ وما أجمع عليه **سلف الأمة** » .

http://www.al-maktabeh.com

موجز في تعريف الفِرَق التي مرَّ ذكرها في المتن

* **الجهمية**: « هم أصحاب جهم بن صفوان، قالوا: لا قدرة للعبد أصلاً؛ لا مؤثرة، ولا كاسبة؛ بل هو بمنزلة الجمادات، والجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما؛ حتى لا يبقى موجود سوى الله ـ تعالى ـ »[١]، وهي فرقة تنكر صفات الله ـ تعالى ـ، والغلاة منها ينكرون أسماء الله ـ سبحانه ـ.

* **المشبِّهة**: « قوم شبهوا الله ـ تعالى ـ بالمخلوقات، ومثلوه بالمحدثات »[٢]، يثبتون لله ـ تعالى ـ الصفات، ولكن يمثلونها بالمخلوقين.

* **الجبرية**: « الذين يقولون: أجبر الله العباد على الذنوب ـ أي أكرههم ـ ومعاذ الله أن يكرههم على معصية، ولكنه علم ما العباد عاملون، وما هم إليه صائرون »[٣].

* **القدرية**: « قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدر الله من الأشياء »[٤].

وتدعي أن العبد مستقل بفعله عن ربه ـ عز وجل ـ ليس لله ـ تعالى ـ فيه تصرف، ولا يعلم بفعله إلا بعد القيام به.

* **المرجئة**: « قوم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع

---

(١) « التعريفات » (١/ ١٠٨).

(٢) « التعريفات » (١/ ٢٧٤).

(٣) « تهذيب اللغة » (١١/ ٤٢).

(٤) « تهذيب اللغة » (٩/ ٣٧).

مكتبة المهتدين الإسلامية

الكفر طاعة »[١]، وتدعي أن الأعمال ليست من الإيمان، وأن الإيمان هو: الاعتراف بالقلب فقط، وأن فاعل الكبيرة دون الكفر؛ لا يستحق دخول النار، لا مؤقتًا ولا مؤبدًا .

* **الوعيدية**: هم الذين يدعون أن فاعل الكبيرة من المسلمين ـ الذي لم يتب منها ـ مخلد في النار .

* **الخوارج**: « وهم الحرورية؛ الخارجون على عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ واستحلوا دمه، ودم أصحابه، وكانوا متشددين في الدين تشددًا زائدًا »[٢]، وزعموا أن فاعل الكبيرة؛ كافر، حلال الدم، والمال .

* **المعتزلة**: فرقة تزعم أن فاعل الكبيرة لا يطلق عليه اسم المؤمن، ولا اسم الكافر، فهو في منزلة بين المنزلتين، تجري عليه أحكام الإسلام في الدنيا، وهو في منزلة الفاسق العاصي، ولكنه في الآخرة مخلد في النار .

* **الرافضة**: « وهم فرقة من شيعة الكوفة، كانوا مع زيد بن علي ـ وهو ممن يقول: بجواز إمامة المفضول مع قيام الفاضل ـ فلما سمعوا منه هذه المقالة، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين؛ رفضوه ـ أي تركوه ـ فلقبوا بذلك، ثم لزم هذا اللقب كل من غلا في مذهبه، واستجاز الطعن في الصحابة »[٣].

---

(١) « التعريفات » (١/ ٢٦٨) .

(٢) « المطلع على أبواب المقنع » (١/ ٣٧٨) .

(٣) « المغرب » (١/ ١٧٢) .

http://www.al-maktabeh.com

* **النواصب**: « وهم قوم ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم .

* **الزنادقة**: « الزنديق: فارسي معرب، وجمعه زنادقة... وقال الجوهري: وقد تزندق، والاسم: الزندقة .

قال ثعلب: « ليس زنديق، ولا فرزيق من كلام العرب، إنما يقولون: زندق وزندقي؛إذا كان شديد البخل » .

قال أبو الفتح: « قال المصنف ـ رحمه الله ـ في « المغني » : « والزنديق: هو الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر، كان يسمى منافقًا، ويسمى اليوم زنديقًا»[١] .

و« الزنديق: القائل ببقاء الدهر...الزنديق معروف زندقته: أنه لا يؤمن بالآخرة، ووحدانية الخالق ... وليس في كلام العرب زنديق، وإنما تقول العرب: رجل زندق، وزندقي إذا كان شديد البخل، فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا: ملحد ودهري »[٢] .

* **الحرورية**: « فرقة من الخوارج؛ نسبت إلى حروراء ـ بالمد ـ قرية بقرب الكوفة، كان أول اجتماعهم بها، وتعمقوا في الدين حتى مرقوا منه »[٣] .

---

(١) « المطلع على أبواب المقنع » (١/ ٣٧٨) .

(٢) « لسان العرب » (١٠ / ١٤٧) .

*بقية التعاريف التي لم تعز، أخذتها من « شرح الواسطية» للشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ .

(٣) « التوقيف على مهمات التعاريف » (١ / ٢٧٧) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

التفويض في صفات الله ـ تعالى ـ عند أهل السنة والجماعة مختص بتفويض الكيف لا المعنى، إذ المعنى معلوم من لغة العرب

قال الإمام الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ في « جامعه »: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاءِ ـ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ؛ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ ؛ فَيُرَبِّيهَا لأَحَدِكُمْ ؛ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:١٠٤] ، و﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة:٢٧٦] » .

قَالَ أَبُو عِيسَى: « هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ نَحْوَ هَذَا، وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنْ الرِّوَايَاتِ مِنْ الصِّفَاتِ وَنُزُولِ الرَّبِّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا . قَالُوا: قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا، وَيُؤْمَنُ بِهَا، وَلا يُتَوَهَّمُ، وَلا يُقَالُ: كَيْفَ ؟ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ الله ابْنِ الْمُبَارَكِ، أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الأَحَادِيث: « أَمِرُّوهَا بِلا كَيْفٍ » . وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ .

وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ؛ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ، وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهٌ، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ: الْيَدَ، وَالسَّمْعَ، وَالْبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتْ

http://www.al-maktabeh.com

الْجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الآيَاتِ؛ فَفَسَّرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ هَاهُنَا: الْقُوَّةُ، وقَالَ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيَدٍ، أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ: سَمْعٌ كَسَمْعٍ، أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَهَذَا التَّشْبِيهُ؛ وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ: يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ، وَلا يَقُولُ كَيْفَ، وَلا يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ، وَلا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لا يَكُونُ تَشْبِيهًا، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللهُ ـ تَعَالَى ـ فِي كِتَابِهِ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] »(١) .

قلت: ظاهر كلام الأئمة ـ رحمهم الله تعالى ـ: (أَمِرُّوهَا بِلا كَيْفٍ)؛ يدل على تفويض الكيف فقط دون المعنى، وهو كلام في غاية الوضوح والدقة، ولو أرادوا تفويض الكيف والمعنى؛ لقالوا: (أمروها بلا كيف ومعنى)، ولولا فهمهم للمعنى؛ لما قالوا بتفويض الكيف؛ لأن تفويض المعنى والكيف يلزم منه نفي صفة العربية عن القرآن والسنة، ونفي العربية عن القرآن والسنة؛ تكذيب للنقل والعقل؛ فالله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢] ، ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل:١٠٣] ، ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم:٩٧] .

---

(١) «سنن الترمذي» (٣ / ٥٠) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

ويؤيد ما ذهبت إليه، قول الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: « الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »[١].

قال الذهبي: « هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة ـ شيخ مالك ـ، وهو قول أهل السنة قاطبة؛ أن كيفية الاستواء لا نعقلها؛ بل نجهلها، وأن استواءه معلوم ـ كما أخبر في كتابه ـ وأنه كما يليق به، لا نتعمق، ولا نتحذلق، ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا؛ بل نسكت ونقف ـ كما وقف السلف ـ ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقينًا ـ مع ذلك ـ أن الله ـ جل جلاله ـ لا مثل له في صفاته، ولا في استوائه، ولا في نزوله ـ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا ـ »[٢].

وقال الإمام البغوي الشافعي ـ محيي السنة رحمه الله تعالى ـ: « والإصبع المذكورة في الحديث؛ صفة من صفات الله ـ تعالى ـ كالنفس،

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في « طبقات المحدثين بأصبهان » (٢ / ٢١٤): « حدثنا عبد الرحمن بن الفيض، قال: ثنا هارون بن سليمان، قال: سمعت محمد بن النعمان بن عبد السلام يقول: أتى رجل مالك بن أنس فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. كيف استوى؟ قال: فأطرق، وجعل يعرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به، فرفع رأسه فقال: فذكره.

قلت: صحيح. وقد رواه أيضًا البيهقي في « الاعتقاد » (١ / ١١٦)، واللالكائي في « اعتقاد أهل السنة » (٣ / ٣٩٨)، وغيرهم.

(٢) « العلو للعلي الغفار » (١ / ١٣٩).

http://www.al-maktabeh.com

والوجه، والعين، واليد، والرِّجل، والإتيان، والمجيء، والنزول إلى السماء الدنيا، والاستواء على العرش، والضحك، والفرح ...، فهذه ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمع، يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها، معرضًا فيها عن التأويل، مجتنبًا عن التشبيه، معتقدًا أن الباري ـ سبحانه وتعالى ـ لا يشبه شيء من صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة، تلقوها جميعًا بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل »[1].

❁ ❁ ❁

(١) «شرح السنة» (١/ ١٦٨، ١٧٠-١٧١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

التوكيد بالمصدر يرفع احتمال المجاز. حتى عند من يقول به. لأن أفعال المجاز عندهم لا تؤكد بالمصدر[١]

بعض النحاة يعرّف الكلام في اللغة فيقول: هو ما تحصل بسببه فائدة، سواء أكان لفظًا أم لم يكن، كالخط، والكتابة، والإشارة، وما يفهم من حال الشيء »[٢].

ولو سلمنا لهذا التعريف؛ فليس فيه حجة لمن ينفي عن ربنا ـ عز وجل ـ صفة الكلام على الحقيقة؛ لأننا ننزله منزلة المشترك اللفظي الذي لا يتعين واحد من أفراده إلا بدليل، وقد قام الدليل من الكتاب والسنة؛ على أن كلام الله ـ تعالى ـ على الحقيقة لا على المجاز، أما دليل الكتاب فقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] ؛ فأكد الفعل بالمصدر، وتوكيد الفعل بالمصدر يرفع احتمال المجاز ؛ حتى عند من يقول به .

قال الأزهري: « والكلام معروف... والقرآن كلام الله، وكلِم الله، وكلامات الله، وكلمة الله، وهو ـ كيفما تصرف متلوًا ومحفوظًا ومكتوبًا ـ غير مخلوق، ورجل تكلامة: يحسن الكلام .

وقال أحمد بن يحيى[٣] في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ

---

(١) انظر « محاسن التأويل » (٣/ ٤٤٩) .

(٢) انظر « تاج العروس » (١٧/ ٦٢٣). وانظر « التحفة السنية بشرح الآجرومية » (٥) .

(٣) قال الذهبي في « السير » (١٤ / ٥-٦): « أحمد بن يحيى هو: ثعلب، العلامة، المحدث، إمام النحو، أبو العباس أحمد بن يحيى ... قال الخطيب: ثقة حجة، دين صالح، مشهور بالحفظ » .

http://www.al-maktabeh.com

تَكْلِيمًا ﴾[النساء:١٦٤]: « لو جاءت : كلّمَ اللهُ موسى مجردًا؛ لاحتمل ما قلنا وما قالوا ـ يعني المعتزلة ـ، فلما جاءت: (تكليمًا)؛ خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام، وخرج الاحتمال للشيئين، والعرب تقول: إذا وكد الكلام لم يجز أن يكون التوكيد لغوًا، والتوكيد بالمصدر دخل لإخراج الشك[1].

وأما دليل السنة فقول النبي ـ ﷺ ـ : « يحشر الله العباد؛ فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ، أنا الملك، أنا الديَّان » .

قلت: حسن[2].

---

(١) « تهذيب اللغة » (١٠/ ١٤٧-١٤٨) .

(٢) وقد صححه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٤٧٥، ٤/ ٦١٨)، وأقره الذهبي، وذكره الضياء في « المختارة » (٩/ ٢٦)، وقال الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٣٤٦): « رواه أحمد، ورجاله وثقوا »، وفي (١٠/ ٣٥١) « وهو عند أحمد والطبراني في « الأوسط » بإسناد حسن » .

وقال ابن حجر في « الفتح » (١/ ١٧٤) : حسن . وصححه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في « السنة » لابن أبي عاصم (١/ ٢٥١) .

وعلقه البخاري في « الصحيح » (٦/ ٢٧١٩) ؛ ولكن وصله في « الأدب المفرد » (١/ ٣٣٧)، و« خلق أفعال العباد » (١/ ٩٨)، ووصله أيضًا أحمد في « المسند » (٣/ ٤٩٥)، وابن أبي عاصم في « السنة » (١/ ٢٢٥)، و« الآحاد » (٤/ ٧٩)، وابن قانع في « المعجم » (٢/ ١٣٥)، وابن بشكوال في « الغوامض » (٢/ ٧٣٢-٧٣٣)، والحارث بن أبي أسامة في « مسنده » (١/ ١٨٩)، والروياني في « المسند » (٢/ ٤٧١)، وأبو ذر الهروي في « الفوائد » (١/ ٤٢-٤٣)، وابن عبد البر في « التمهيد » (٢٣/ ٢٣٣-٢٣٤)، والخطيب في « الرحلة » (١١٠-١١١، ١١٣-١١٤)، و« الجامع » (٢/ ٢٢٥)، وأبو عبد الله القيسي في « مجلس من حديث جابر » (١/ ٢٨-٣٩)، كلهم من طريق ابن عقيل؛ وهو ممن احتج بحديثه أحمد، وإسحاق، والحميدي، وقال البخاري : مقارب الحديث، وقال الترمذي: صدوق .

==

مكتبة المهتدين الإسلامية

وانظر: « تغليق التعليق » (٥/ ٣٥٣-٣٥٦)[١].

❖ قال ابن أبي العز الحنفي: « ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء ـ أحد القراء السبعة ـ أريد أن تقرأ ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ [النساء:١٦٤]

== وقال العجلي: مدني تابعي ثقة، جائز الحديث. وقال الحاكم: مستقيم الحديث. وقال ابن عدي: وقد روى عنه جماعة من المعروفين الثقات، وهو خير من ابن سمعان، ويكتب حديثه . قلت: وقد تكلم فيه قوم فضعفوه من قبل حفظه .

ورواه الطبراني في « مسند الشاميين » (١/ ١٠٤) من طريق الحسن بن جرير الصوري، ثنا عثمان بن سعيد الصيداوي، ثنا سليمان بن صالح، ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن الحجاج بن دينار، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله.

وفيه الصيداوي؛ ترجم له ابن عساكر في « التاريخ » (٣٨/ ٣٦٧)، وقد روى عنه جمع .

وعبد الرحمن ؛ قال عنه الحافظ: صدوق يخطئ، وبقية رجاله ثقات. ورواه تمام في « الفوائد » من طريق أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن زامل الأذرعي، وبقية السند كما سبق في « مسند الشاميين » .

ورواه الخطيب في « الرحلة » (١ / ١١٥) من غير طريق ابن عقيل عن عبد العزيز بن علي الأرجي، ثنا علي بن عمر بن محمد الحربي، ثنا حامد بن بلال البخاري، ثنا محمد بن عبد الله المقري البخاري، ثنا يحيى بن النضر، ثنا عيسى غنجار، عن عمر بن الصبح، عن مقاتل بن حيان، عن أبي جارود العبسي، أن جابر بن عبد الله... .

قلت : يكفي في ضعف هذا الإسناد وجود ابن الصبح .

وخلاصة الأمر: أن الحديث بمجموع طرقه حسن، إن شاء الله ـ تعالى ـ .

(١) لا ينبغي لطالب العلم أن يستعجل فيحكم، بالضعف على كل ما علقه البخاري بصيغة التمريض، فربما علقه بصيغة التمريض لسبب ما، وهو من قسم المقبول، بل وربما علقه بصيغة الجزم، وهو من قسم المردود، والواجب أن يكشف عنه، ثم يحكم عليه بما يقتضيه الحال .

وهذه القاعدة من الأهمية بمكان فتنبه، ومن أراد الزيادة فعليه بـ « توضيح الأفكار » (١/ ١٣١)، و« النكت على كتاب ابن الصلاح » (٨٨-٩٩)، و« مقدمة فتح الباري » (١٨)، و« فتح الباري » (١/ ٣٨٦، ٢/ ٢٠٥، ٩/ ٣٠١، ١٠/ ١٩٨) .

http://www.al-maktabeh.com

بنصب اسم (الله)؛ ليكون موسى هو المتكلم لا الله . فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا ؛ فكيف تصنع بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فبهت المعتزلي »[1] .

[1] « شرح العقيدة الطحاوية » (١ / ١٨٢) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

كلام الله ـ تعالى ـ من وراء حجاب من أقسام كلامه ، وهذا يدل على أن الله ـ تعالى ـ يتكلم بصوت وحرف يليق بجلاله

قال الله ـ تعالى ـ:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١] .

قال الإمام الطبري: « وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه؛ إلا وحيًا يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهامًا، وإما غيره، ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ ؛ يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه؛ كما كلم موسى نبيه ـ ﷺ ـ ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾؛ يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولاً، إما جبريل، وإما غيره... »[(١)] .

وقال القاسمي: « ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ أي: إلهامًا، وقذفًا في القلب منه، بلا واسطة»[(٢)] .

وقال ابن تيمية: « فجعل التكليم ثلاثة أنواع: الوحي المجرد، والتكليم من وراء حجاب ـ كما كلم موسى عليه السلام ـ والتكليم بواسطة إرسال الرسول ؛ كما كلم الرسل بإرسال الملائكة[(٣)] .

---

(١) «جامع البيان» (١٣/ ٥٨-٥٩) .

(٢) « محاسن التأويل » (٨/ ٣٧٦) .

(٣) « دقائق التفسير » (٢ / ١٩٠).

http://www.al-maktabeh.com

وقال: « ففرق بين ما يوحيه؛ والإيحاء: الإعلام الخفي السريع، وبين تكليمه لموسى من وراء حجاب نداء، ونجاء، وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾[المائدة:١١١]، وقال: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾[القصص:٧]، وفي الصحيحين عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: « **قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُم مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي فَعُمَرُ** »، **فهذا وأمثاله مما يكون لغير الأنبياء** »[١].

وقال: « قلت: فالأول الوحي: وهو الإعلام السريع الخفي؛ إما في اليقظة؛ وإما في المنام، فإن رؤيا الأنبياء وحي، ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ؛ كما ثبت ذلك عن النبي في الصحاح[٢].

وقال عبادة بن الصامت ـ ويروى مرفوعًا ـ: رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام[٣].

---

(١) « بغية المرتاد » (١ / ٣٨٥-٣٨٦).

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » (٦ / ٢٥٦٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ـ قَالَ : « **الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ؛ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ** » . ورواه غيره .

(٣) ضعيف الإسناد: رواه ابن أبي عاصم في « السنة » (١/ ٢٢٤)، وأخرجه الضياء في « المختارة » (٨/ ٢٧٥)، وقال الهيثمي في « المجمع » (٧/ ١٧٤): « رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه »، وقال ابن حجر في « الفتح » (١٢/ ٣٥٤): « ووجد الحديث المذكور في « نوادر الأصول » للترمذي من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه في (الأصل الثامن والسبعين) وهو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر وهو واه وفي سنده جنيد » . وقال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في « ظلال الجنة» (٢٢٤): « إسناده ضعيف» .

قلت: فيه جابر بن ميمون ؛ وهو مجهول، ولا أعلم روى عنه إلا محمد بن مهاجر. ==

مكتبة المهتدين الإسلامية

وكذلك في اليقظة؛ فقد ثبت في الصحيح، عن النبي [ﷺ] أنه قال: « قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُم مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي ؛ فَعُمَرُ » ـ وفي رواية في الصحيح ـ: مكلمون [(١)].

وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ [المائدة:١١١] ، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص:٧] ، بل قد قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ ﴾ [فصلت:١٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[النحل:٦٨]، فهذا الوحي ؛ يكون لغير الأنبياء، ويكون يقظة ومنامًا، وقد يكون بصوت هاتف ؛ يكون الصوت في نفس الإنسان، ليس خارجًا عن نفسه، يقظة ومنامًا، كما قد يكون النور الذي يراه أيضًا في نفسه ؛ فهذه الدرجة من الوحي التي تكون في نفسه، من غير أن يسمع صوت ملك في أدنى المراتب، وآخرها وهي أولها باعتبار السالك » [(٢)] .

== وحمزة إما أن يكون ابن الزبير بن العوام الذي ترجم له ابن سعد في « الطبقات » (٥/ ١٨٦)، وذكره ابن قتيبة في « المعارف » (١/ ٢٢١)، وإما أن يكون هو حمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام الذي ذكره ابن حبان في « الثقات » (٤/ ١٦٩) ؛ يحتمل هذا وهذا ـ كما قال السخاوي في « التحفة اللطيفة» (١/ ٣٠٥) ـ: « حمزة بن الزبير: مدني تابعي ثقة ؛ قاله العجلي . وسيأتي حمزة بن عبد الله بن الزبير قريبًا، فيحتمل أن يكون هو هذا سقط من نسبه عبد الله» . قلت: وأيهما كان فهما من التابعين، ولم أر أحدًا ذكرهما بجرح ولم أر أحدًا وثق العم إلا العجلي إذا أخذنا بظاهر كلامه ولم أر أحدًا وثق ابن الأخ إلا ابن حبان والعجلي إذا قلنا أنه نسبه لجده .

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٤٩)، وغيره .

(٢) « مجموع الفتاوى » (١٢/ ٣٩٧-٣٩٨) .

http://www.al-maktabeh.com

وقال: « وأما قولـه: بواسطة لفظ يخلقه الله في سـمع المـستمع المخـتص بكلامه؛ فيقال له: هذا اللفظ إن كان موجودًا في شيء خارج عـن المـستمع فهو قول المعتزلة؛ الذين يقولون: إن الله كلم موسى بكلام مخلوق في غيره .

وهو لم يرد هذا ـ؛ بل قولـه وقول أصحابه شر من هذا، وإن أراد ما هو مدلول لفظه، وقول أصحابه؛ وهو أنه خلق لفظًا في نفس موسى، سمعه موسى من غير أن يكون له وجود في الخارج ؛ فهذا من جنس ما يسمعه النائم في نفسه من الأصوات، وما يقع لأرباب الرياضات من الأصوات التي يسمعونها في أنفسهم، ولا ريب أن إحداث المعاني العقلية المجردة في نفس الإنسان؛ أكمل من إحداث هذه في نفسه، فيكون تكليمه لموسى أنقص من إيحائه إلى سائر النبيين، والله قد فضَّل موسى بالتكليم، وعلم ذلك بالضرورة من دين المسلمين ، واليهود، والنصارى، قال ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٣-١٦٤] ، وقال ـ تعالى ـ : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٥٣] ، وقال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ

مكتبة المهتدين الإسلامية

إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف:١٤٣] إلى قوله: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ [الأعراف:١٤٤]، وقال: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥٢]، وقال: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص:٣٠]، وقال: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [النازعات: ١٥-١٦].

وما ذكروه من حدوث أصوات في نفس الإنسان يسمعها؛ إما يقظة، وإما منامًا، يحصل لآحاد الناس في كثير من الأوقات، وسمع الإنسان للهواتف في نفسه أكثر من أن يحصى، فإن كان تكليم موسى من هذا الجنس؛ فآحاد الناس شركاؤه في هذا، فكيف بالأنبياء، فكيف بالمرسلين، ومعلوم أن الله خص موسى بالتكليم؛ تخصيصًا لم يشركه فيه لا نوح، ولا إبراهيم، ولا عيسى، ولا نحوهم من النبيين.

وقوله: إن ذلك الكلام الذي يكون بواسطة ألفاظ يخلقها في سمع الذي اصطفاه بكلامه، وهذا هو كلام حقيقي، وهو الذي خص به موسى كلام باطل، فإن هذا ليس بالتكليم الحقيقي الذي خص به موسى، بل ليس هو التكليم الحقيقي عند أحد من الأمم، ولا يعقل أحد في التكليم هذا، وإنما هذا من جنس المنامات، وغايته أن يكون من جنس الإيحاء، والإنسان

http://www.al-maktabeh.com

قد يرى في منامه أن الله خاطبه بكلام كثير يسمعه، فإن كان هذا كلام حقيقي لله، فما أكثر الكلام الحقيقي لله، وما أكثر تكليمه بكلام حقيقي لآحاد الناس؛ كما كلم موسى بن عمران النجي المقرب، المخصوص بالتكليم، وأيضًا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى:٥١] ؛ يقتضي أن التكليم من وراء حجاب نوع غير الوحي، وأن المكلم بذلك؛ محجوب أن يرى الله، لأن التكليم المسموع قد يكون مع رؤية المستمع للمتكلم، وقد يكون مع كونه محجوبًا عنه، بخلاف الوحي؛ فإنه يقع في قلبه، فلا يحتاج أن يجعل نوعين، ولهذا قال النبي [ﷺ] في الحديث الصحيح: « **مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلا تُرْجُمَانٌ** »[(١)] .

فلو كان الكلام المسموع هو شيئًا قائمًا بالمستمع؛ لا وجود له في الخارج؛ لكان من جنس الوحي الذي لا يحسن أن يقال معه: من وراء حجاب، فإن صاحب هذا لم يسمع شيئًا منفصلاً عنه ؛ يمكن مشاهدة المتكلم به تارة، وحجب المستمع عنه أخرى »[(٢)] .

وقال: « وكذلك لفظ الوحي، قد يكون عامًا فيدخل فيه التكليم الخاص، كما في قوله لموسى: ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه:١٣]، وقد

---

(١) ولفظه عند البخاري في « الصحيح » (٦/ ٢٧٠٩): « مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَه وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ » .

(٢) « درء تعارض العقل والنقل » (١/ ٢١٠-٢١٣) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

يكون قسيم التكليم الخاص؛ كما في(سورة الشورى)، وهذا يبطل قول من يقول: الكلام معنى واحد قائم بالذات؛ فإنه حينئذ لا فرق بين التكليم الذي خص به موسى، والوحي العام الذي يكون لآحاد العباد»[1] .

وقال: ولو كان الحجاب هو عدم الرؤية ؛ لكان الوحي وإرسال الرسل من وراء حجاب »[2] .

❁ ❁ ❁

(١) « مجموع الفتاوى » (١٢/ ١٢٩) .

(٢) « مجموع الفتاوى » (١٢/ ١٧٥) .

http://www.al-maktabeh.com

جَعَل في لغة العرب؛ لا تكون دائماً بمعنى: خَلَقَ

قال الأزهري: « قال أبو العباس، عن ابن الأعرابي قال: جعل: صيّر. وجعل: أقبل. وجعل: قال، ومنه قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣] وقال غيره: صيَّرناه »[1].

وقال ابن منظور: « جعل الشيء؛ يجعله جعلاً، ومَجْعلاً، واجتعله: وضعه.

قال أبو زبيد:

ومَا مُغِبٌّ بِثَنْيِ الحِنْوِ مُجْتَعَلٌ ∴ في الغِيلِ في نَاعِمِ البَرْدِيِّ مِحْرَابَا

وقال يرثي اللجلاج ابن أخته:

ناطَ أَمْرَ الضِّعَافِ واجْتَعَلَ اللَّيْـ ∴ ـلَ كَحَبْلِ العَادِيَّةِ المَمْدُودِ

أي: جعل يسير الليل كله مستقيمًا؛ كاستقامة حبل البئر إلى الماء، والعادية: البئر القديمة.

وجعله يجعله جعلاً: صنعه، وجعله: صيَّره.

قال سيبويه: جعلت متاعك بعضه فوق بعض؛ ألقيته.

وقال مرة: عملته، والرفع على إقامة الجملة مقام الحال، وجعل الطين خزفًا، والقبيح حسنًا: صيره إياه، وجعل البصرة بغداد؛ ظنها إياها، وجعل

---

(١) «تهذيب اللغة» (١/ ٢٤٠).

مكتبة المهتدين الإسلامية

يفعل كذا؛ أقبل وأخذ، أنشد سيبويه:

وَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي تَطِيبُ لِضَغْمَةٍ ∴ لِضَغْمِهِمَا يَقْرَعُ العَظْمَ نَابَهَا

وقال الزجاج: جعلت زيدًا أخاك ؛ نسبته إليك. وجعل: عمل وهيأ. وجعل: خلق.

وجعل: قال، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣] ؛ معناه: إنا بيناه قرآنًا عربيًا، معناه: إنا بياناه قرآنا عربيًا. حكاه الزجاج، وقيل: قلناه، وقيل: صيرناه، ومن هذا قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ [مريم:٣٠]، وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف:١٩].

قال الزجاج: الجَعْل ههنا بمعنى القول، والحكم على الشيء ؛ كما تقول: قد جعلت زيدًا أعلم كقولك: طَفِق، وعَلِق يفعل كذا وكذا.

ويقال: جعلته أحذق الناس بعمله؛ أي: صيَّرته.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ الناس؛ أي قد وصفته بذلك، وحكمت به، ويقال: جعل فلان يصنع كذا وكذا؛ ﴿ مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء:٣٠] ؛ أي: خلقنا.

وإذا قال المخلوق: جعلت هذا الباب من شجرة كذا ؛فمعناه: صنعته.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل:٥] أي: صيَّرهم.

http://www.al-maktabeh.com

وقولــه ـ تعــالى ـ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾[الأنعام:١٠٠] أي: هل رأوا غير الله خلق شيئًا ؛ فاشتبه عليهم خلق الله من خلق غيره .

وقولـــــه : ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩] ؛ أي: سموهم، وتجاعلوا الشيء؛ جعلوه بينهم، وجعل له كذا؛ شارطه به عليه، وكذلك: جعل للعامل كذا» (١).

❁ ❁ ❁

(١) «لسان العرب» (١١٠ / ١١٠- ١١١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

إضافة الصفة للموصوف، ليست كإضافة الملك للمالك

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦] .

(كلامَ): مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، وهو مضاف، والاسم الأحسن: (الله)، مضاف إليه؛ من باب إضافة الصفة للموصوف، وليس من باب إضافة المُلْك للمالِك، والصفة هي الكلام، والموصوف هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

وإذا كان كلام الله ـ تعالى ـ صفة من صفاته الذاتية، وهو خالقُ كلِ شيء غير مخلوق ؛ فالقرآن كلام الله ـ تعالى ـ غير مخلوق . وكما أن الله ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته ؛ فكلام الله ـ تعالى ـ ليس كمثله كلام .

ومن أمثلة إضافة الملك للمالك ؛ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:١١] ؛ فإعراب (خلقُ): خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، وهو مضاف، والاسم الأحسن (الله): مضاف إليه ؛ من باب إضافة المُلْك للمالك، فالمُلْك هو الخلْق، والمالِك هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

ومن الأمثلة ؛ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:٢٩]، وقول الله ـ تعالى ـ :

http://www.al-maktabeh.com

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم:١٢] .

فكل من: (روحنا، وروحي) اسمان مجروران بحرف الجر، وعلامة جرهما الكسرة، وهما مضافان إضافة الملك للمالك، والمخلوق للخالق، وكل من الضمير المتصل (نا، ي) ؛ مضاف إليه، وهما عائدان على الله ـ تعالى ـ .

ويؤيد هذا؛ أن لفظ الروح ليس من صفات الله، ولا يحل لعبد أن يصف الرب ـ جل وعلا ـ إلا بما جاء في القرآن والسنة ؛ لأن صفات الله ـ تعالى ـ توقيفية، فتنبه .

قال القرطبي: « وحقيقته إضافة خلق إلى خالق ؛ فالروح خلق من خلقه، أضافه إلى نفسه تشريفًا وتكريمًا، كقوله: أرضي، وسمائي، وبيتي، وناقة الله، وشهر الله، ومثله: ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء:١٧١] »[1] .

قلت: يعني قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:١٧١] .

---

(١) « تفسير القرطبي » (١٠ / ٢٤) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

❖ وعلى ما تقدم يُفْهَم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: « ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته »[١].

❁ ❁ ❁

(١) « الفتاوى » (١/ ٣٦٧).

http://www.al-maktabeh.com

اشتهر في كلام العرب؛ إطلاق الجمع والإفراد على المثنى

قال عنترة بن شداد:

يا عَبلَ ما أَخْشى الحِمامَ وإنما ∴ أخشَى على عَينَيكِ وقتَ بُكاك

وقال:

وما وَجَدَ الأَعادي فيَّ عَيْباً ∴ فَعابُوني بلوْنٍ في العيُون

وقال:

لاَ أَبْعَدَ الله عَنْ عَيْني غَطَارفَةً ∴ إنْساً إذَا نَزَلُوا جِنًّا إذَا رَكِبُوا

وقال مهلهل بني ربيعة:

أَهَاجَ قَذَاءَ عَيْنِي الإِذِّكَارُ ∴ هُدُوّاً فَالدُّمُوعُ لَهَا انْحِدَارُ

وقال عبيد بن الأبرص:

فَاتْرُكي مَطَّ حاجِبَيْكِ وَعِيشي ∴ مَعَنَا بِالرّجَاء وَالتّأمَالِ

وقال أبو داود الإيادي:

مُكْفَهِرّ على حواجبِه يغْـ ∴ ـرَقُ في جَمْعِهِ الخَمِيسُ اللُّهَامُ

وقال جرير بن عطية:

وَرَئيسُ مَملَكَةٍ وَطِئْنَ جَبينَهُ ∴ يَغْشَى حَوَاجِبَهُ دَمٌ وَغُبَارُ

وقال عنترة بن شداد:

مكتبة المهتدين الإسلامية

لهُ حاجِبٌ كالنُّونِ فوْقَ جُفُونِهِ ∴ وَثَغْرٌ كزَهرِ الأُقْحُوَانِ مُفَلَّجُ

قال الأزهري: « الحاجِبانِ: العَظْمانِ فَوْقَ العَيْنَيْن ؛ بشَعرِهِ ولحمِه »[1].

وقال امرؤ القيس:

لَهَا مِزْهَرٌ يَعْلُو الخَمِيسَ بِصَوْتِهِ ∴ أَجَشُّ إذَا مَا حَرّكَتْهُ اليَدَانِ

وقال المثقب العبدي يصف ناقته:

كَأَنَّما أَوبُ يَدَيها إلى ∴ حَيزومِها فوقَ حَصى الفَدْفَدِ

وقال كثير عَزة:

وَحُبُّكِ يُنسيني مِنَ الشَّيْءِ في يدي ∴ ويُذهِلُني عَنْ كُلِّ شَيْءٍ أُزَاوِلُهْ

وقال الفرزدق:

فَلا رَفَعَتْ، إنْ كنتُ قلتُ التي ∴ عَلَيَّ رِدائي، حينَ أَلْبَسُهُ، يَدِي

وقال المثقب العبدي:

مُستَشرِفُ القُطَرينِ، عَبلُ الشَّوَى ∴ مُحَنَّبُ الرِّجلَينِ فيه اقْوِرارْ

وقال تميم بن أبي بن مقبل يصف ناقته:

أَلاَ يُبِلُّ جَنِينٌ بَيْنَ أَرْجُلِهَا ∴ ظَلَّتْ تُقَلْقِلُهُ صَهْبَاءُ مِئْشِيرُ

وقال الشنفرى:

---

(١) « تهذيب اللغة » (٤/ ٩٧).

http://www.al-maktabeh.com

أُمَشِّي بِأطرافِ الحَمَاطِ وَتَارَةً ∴ ينفِّضُ رِجْلِي بُسْبُطا فَعَصَنْصَرَا

أُبَغِّي بَنِي صَعْبِ بْنِ مُرٍّ بلادَهُمْ ∴ وسوفَ أُلاَقِيهِمْ إنِ اللهُ أَخَّرَا[1]

قال عباس حسن: « وقد يكون المراد عند اللغويين من الاسم المجموع اثنين؛ لأن الجمع في اصطلاحهم يطلق على الاثنين، كما يطلق على ما زاد على الاثنين، ويؤيد هذا شواهد كثيرة فصيحة في مقدمتها القرآن، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٧٨]، وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم: ٤] .... وقول أبي ذؤيب الهذلي ؛ في رثاء أبنائه الخمسة الذين ماتوا بالطاعون :

العينُ بعدهُمُو كأنَّ حِدَاقَهَا ∴ سُمِلَتْ بشوْكٍ فَهيَ عَوْرَا تَدْمَعُ

فأطلق الجمع في قوله: حداقها ـ وهي جمع: «حدقة». وأراد الاثنين ...

ملاحظة هامة: من الضوابط اللغوية؛ ما صرح به بعض النحاة، وملخصه: « أن كل مثنى في المعنى مضاف إلى متضمِّنه ـ بكسر الميم الثانية المشددة ـ، وصيغة اسم الفاعل: أي إلى ما اشتمل على المضاف، يجوز فيه الإفراد والتثنية والجمع، والأفضل الجمع، نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم:٤] .

---

(١) هذا الشعر من دواوين الشعراء التي في « موسوعة الشعر العربي » للعريس .

مكتبة المهتدين الإسلامية

وتقول: تصدقت برأس الكبشين، أو رأسَيْ الكبشين، أو رءوسهما، وإنما فضل الجمع على التثنية ؛ لأن المتضايفين كالشيء الواحد، فكرهوا الجمع بين تثنيتهما، ولأن المثنى جمع في المعنى .

وفضل الجمع على الإفراد؛ لأن المثنى جمع في المعنى ـ كما سلف ـ، والإفراد ليس كذلك، فهو أقل منه منزلة في الدلالة على المثنى »[1] .

ومن تدبر ما سبق بيانه ؛ فإنه لا يصعب عليه دفع إيهام الاضطراب في الآيات الآتية :

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾[ص:٧٥] ، وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح :١٠] ، وقال الله ـ تعالى ـ :

(١) « النحو الوافي » (١/ ١١٩) .

http://www.al-maktabeh.com

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧]، وقال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه:٣٩]، وقال الله ـ تعالى ـ:﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور:٤٨] .

قلت: لقد دلت الآيات السابقة على أن لله ـ تعالى ـ يدين، وعينين تليق بعظمته ـ سبحانه ـ ويؤيد هذا الأحاديث الآتية:

قال البخاري: « بَاب قَوْلِ الله ـ تَعَالَى ـ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ [طه:٣٩] : تُغَذَّى، وَقَوْلِهِ ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر:١٤] .

* عَنْ عَبْدِ الله ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ ، فَقَالَ: « **إِنَّ الله لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ ،إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَر ـ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ ـ وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى ؛ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ** »[1] .

تَنْبِيهٌ : لقد نفى النبي ـ ﷺ ـ عن ربه ـ عز وجل ـ النقص، ونفي النقص يستلزم إثبات الكمال، فثبت أن لله ـ تعالى ـ عينين بلا كيف .

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ، أَنَّ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ قَالَ: « **يَدُ الله مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ**

(1) « صحيح البخاري » (٦/ ٢٦٩٥) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ ، وَقَالَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ »[١] .

* عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قال رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا »[٢] .

* عَنْ أَنَسٍ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ: « يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا »[٣] .

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَالَ: « احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُونَا، خَيَّبْتَنَا، وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، ثَلَاثًا »[٤] .

وفي لفظ مسلم: « كَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ » .

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٦٩٧) ، وغيره . قلت: روى الحديث جمع من المحدثين بغير (وكان)؛ ولكنه أيضًا جاء بلفظ : (وكان عرشه) .

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٥٨) ، وغيره .

(٣) رواه البخاري (٤/ ١٦٢٤) ، ومسلم (١/ ١٨٠) ، وغيرهما .

(٤) رواه البخاري (٦/ ٢٤٣٩) ، ومسلم (٤/ ٢٠٤٢) ، وغيرهما .

http://www.al-maktabeh.com

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي: « ولا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد بالقدرة، فإن قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] لا يصح أن يكون معناه: بقدرتي، مع تثنية اليد، ولو صح ذلك ؛ لقال إبليس: وأنا أيضًا خلقتني بقدرتك ؛ فلا فضل له عليّ بذلك، فإبليس مع كفره، كان أعرف بربه من الجهمية، ولا دليل لهم في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾ [يس:٧١]، لأنه ـ تعالى ـ جمع الأيدي لما أضافها إلى ضمير الجمع، ليتناسب الجمعان، فاللفظان للدلالة على الملك والعظمة، ولم يقل (أيدي) ؛ مضافًا إلى ضمير المفرد، ولا (يدينا) : بتثنية اليد ، مضافًا إلى ضمير الجمع ؛ فلم يكن قوله : ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس:٧١]، نظير قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] »[1] .

قال ابن تيمية: « ومما يشبه هذا القول؛ أن يجعل اللفظ نظيرًا لما ليس مثله؛ كما قيل في قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] ؟ فقيل: هو مثل قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾ [يس:٧١] ؟ فهذا ليس مثل هذا ؛ لأنه هنا أضاف الفعل إلى الأيدي ؛ فصار شبيهًا بقوله: ﴿ كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وهنا أضاف الفعل إليه، فقال: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ ﴾، ثم قال: ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ .

---

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (١ / ٢٤١) .

مكتبة المشكين الإسلامية

وأيضًا؛ فإنه هنا ذكر نفسه المقدسة بصيغة المفرد، وفي اليدين ؛ ذكر لفظ التثنية ؛ كما في قوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وهناك أضاف الأيدي إلى صيغة الجمع، فصار كقوله : ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر:١٤] ، وهذا في الجمع نظير قوله: ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١] ، و﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] في المفرد، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد ـ مظهرًا أو مضمرًا ـ ، وتارة بصيغة الجمع ؛ كقوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح:١] ، وأمثال ذلك، ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط ؛ لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه، وربما تدل على معاني أسمائه، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور، وهو مقدس عن ذلك، فلو قال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] ؛ لما كان كقوله: ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس:٧١]، وهو نظير قوله: ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك:١]، و﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران:٢٦] ، ولو قال: (**خلقت**)؛ بصيغة الإفراد؛ لكان مفارقًا له، فكيف إذا قال : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] ، بصيغة التثنية، هذا مع دلالات الأحاديث المستفيضة ـ بل المتواترة ـ وإجماع السلف على مثل ما دل عليه القرآن، كما هو مبسوط في موضعه، مثل قوله: « المقسطون عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن ـ وكلتا يديه يمين ـ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم...» [1].

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٤٥-٤٦).

http://www.al-maktabeh.com

قال ابن القيم: « الوجه الحادي عشر: لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع : مفردًا ، ومثنى ، ومجموعًا ، فالمفرد ؛ كقولـه : ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك:١]، والمثنى كقولـه : ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] ، والمجموع كقولـه: ﴿ عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس:٧١]، فحيث ذكر اليد مثناة ؛ أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد، وعدى الفعل بالباء إليهما ؛ فقال: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥]، وحيث ذكرها مجموعة ؛ أضاف العمل إليها، ولم يعدَّ الفعل بالباء، فهذه ثلاثة فروق ؛ فلا يحتمل﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] ؛ من المجاز ما يحتمله: ﴿ عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس:٧١]، فإن كل أحد يفهم من قولـه: ﴿ عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ [يس:٧١] ، ما يفهمه من قولـه: عملنا، وخلقنا، كما يفهم ذلك من قوله: ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى:٣٠] .

وأما قولـه: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥] ، فلو كان المراد منه مجرد الفعل ؛ لم يكن لذكر اليد؛ بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى، فكيف وقد دخلت عليها الباء، فكيف إذا ثنيت، وسر الفرق ؛ أن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد؛ والمراد الإضافة إليه، كقولـه: ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ [الحج:١٠] ، ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وأما إذا أضيف إليه الفعل، ثم عدي بالباء إلى يده، مفردة أو مثناة، فهو ما باشرته يده، ولهذا قال عبد الله ابن عمر: « إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثًا: خلق آدم بيده، وغرس جنة

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفردوس بيده، ... وذكر الثالثة»[١]، فلو كانت اليد هي القدرة ؛ لم يكن لها اختصاص بذلك، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة، وقد أخبر النبي ـ ﷺ ـ ؛ أن أهل الموقف يأتونه يوم القيامة فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء ؛ فاشفع لنا إلى ربك، فذكروا أربعة أشياء كلها خصائص»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) أثر ابن عمر رواه الآجري في « الشريعة » (٣٤٠)، ولكن بغير هذا اللفظ: حدثنا جعفر بن محمد الصندلي، قال: حدثنا زهير بن محمد المروزي، قال: أخبرنا أبو معاوية بن عمرو وأبو صالح قالا: حدثنا أبو إسحاق ـ يعني الفزاري ـ عن سفيان بن سعيد، عن عبيد المكتب، عن مجاهد، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: « خلق الله ـ عز وجل ـ أربعة أشياء بيده ؛ آدم عليه السلام، والعرش، والقلم، وجنات عدن، ثم قال لسائر الخلق: كن ؛ فكان » . قلت: صحيح: وقد وجدت في المطبوع عن سفيان بن عبيد، والصواب ما أثبته، وانظر: « المستدرك على الصحيحين » (٢/ ٣٤٩) .

ورواه أيضا اللالكائي في « الاعتقاد » (٣/ ٤٢٩) . من طريق عبيد المكتب .

(٢) « الصواعق » (١ / ٢٦٨- ٢٦٩) .

http://www.al-maktabeh.com

لا يلزم من اتفاق التسمية؛ اتفاق المسميات ومقتضياتها، فإثبات صفات الله ـ تعالى ـ لا يوجب التشبيه

لا يخفى على كل عاقل؛ وجود الاختلاف في الصفات بين الجنس الواحد، مع إطلاق التسمية على الجميع؛ بلفظ يدخل تحته عموم الجنس، كالإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد.

ويزداد الاختلاف باختلاف الجنس، فرأس الإنسان؛ ليس كرأس الحيوان، ورأس الحيوان؛ ليس كرأس النبات، ورأس النبات؛ ليس كرأس الجماد؛ كالجبل.

وإذا كان الاختلاف كائن بين المخلوقات نفسها ـ وهذا من البديهيات ـ فإن اعتقاد الاختلاف بين الخالق ـ جل جلاله ـ والمخلوق؛ من الضروريات، فالخالق: ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته ـ سبحانه وتعالى ـ.

ومثال ذلك من القرآن قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٢]، وقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران:٧٢]، وقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [يوسف:٩٣].

مكتبة المهتدين الإسلامية

فالوجه ـ في هذه الآيات ـ اسم أضيف إلى ذوات ثلاث، ولكن وجه الرب ـ عز وجل ـ صفة من صفاته، ليس كمثله شيء، ووجه يعقوب ـ عليه السلام ـ ليس كوجه النهار، ووجه النهار؛ ليس كوجه غيره ، فكل له وجه يليق به .

قال الحكمي ـ رحمه الله ـ: « وكذلك كتب الكلام والمنطق اليوناني ؛ أدخله الأعداء علينا؛ وسموه علم التوحيد، تلبيسًا وتمويهًا، وما هو إلا سلم الإلحاد والزندقة، وجحدوا صفات الباري ـ عز وجل ـ وسموا ذلك تنزيهًا؛ ليغروا الجهال بذلك، وإنما هو محض التعطيل، وسموا أولياء الله المؤمنين ؛ الذين عرفوه بأسمائه وصفاته: مشبهة ؛ لينفروا الناس عنهم، مكرًا وخديعة، فأصبح المغرور بقولهم، المخدوع بمكرهم ؛ حائرًا، مخذولاً، لأنهم لما عزلوا كتاب الله عن البيان، وحكموا عقولهم السخيفة في نصوص صفات الديان، لم يفهموا منها ؛ إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات التي منحه الله إياها، ومتى شاء سلبه، ولم ينظروا المتصف بها من هو؟ فلذلك نفوها عن الله ـ عز وجل ـ ؛ لئلا يلزم من إثباتها التشبيه، فشبهوا أولاً، وعطلوا ثانيًا، فلما نفوا عن الله صفات كماله، لزمهم إثبات ضدها: وهو النقائص، فمن نفى عن الله كونه سميعًا بصيرًا ؛ فقد شبهه بما لا يسمع، ولا يبصر، ولا يغني شيئًا، وكذلك سائر الصفات، وماذا عليهم لو أثبتوا لله ـ عز وجل ـ ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله ـ ﷺ ـ، كما شاء الله ـ تعالى ـ وعلى الوجه الذي أراد، فجميع صفاته صفات كمال وجلال، تليق

http://www.al-maktabeh.com

بعظمة ذاته، ونفيها ضد ذلك، ولا يلزم من اتفاق التسمية؛ اتفاق المسميات؛ فإن الله ـ تعالى ـ قد سمى نفسه سميعًا بصيرًا، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعًا بصيرًا ، وسمى نفسه الرؤوف الرحيم ، وأخبر أن نبيه ـ ﷺ ـ: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]، وسمى نفسه: الملك؛ فقال : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:٤]، ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٢]، وسمى بعض خلقه ملكًا؛ فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ [يوسف:٥٤] ؛ وهو العزيز، وسمى بعض عباده عزيزًا، وغير ذلك، فلا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق الأسماء ومقتضياتها، فليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، ولا الرأفة كالرأفة، ولا الرحمة كالرحمة، ولا العزة كالعزة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق، ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن ؛ كالأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه ؛ كالحي القيوم الغني عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه ؛ فصفات الخالق الحي القيوم قائمة به، لائقة بجلاله، أزلية بأزليته، دائمة بديموميته، لم يزل متصفًا بها، ولا يزال كذلك، لم تسبق بضد، ولم تعقب به ؛ بل له ـ تعالى ـ الكمال المطلق ؛ أولاً، وأبدًا : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١]، فمن شبه الله ـ تعالى ـ بخلقه، فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه »[1].

---

(١) «معارج القبول» (١ / ٢١٠-٢١١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

(فوق): ظرف مكان، وفيه إثبات علو الله ـ تعالى ـ على خلقه علواً مطلقًا من كل وجه

ومن ظروف المكان (فَوْقَ)، مثاله قول الله ـ تعالى ـ:﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨] .

ومن فوائد معرفة هذا الظرف ؛ إثبات علو الله ـ تعالى ـ على خلقه علوًا مطلقًا[١] .

ويؤيده قوله ـ ﷺ ـ: « إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ؛ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ »[٢].

ومثل (فوق): (عِنْدَ) .

فعلو الله ـ تعالى ـ على خلقه ثابت بالعقل، والنقل، واللغة، فالعرش فوق جميع المخلوقات، والله ـ تعالى ـ فوق العرش، لا تخفى عليه خافية .

ويؤيد هذا قول النبي ـ ﷺ ـ في تفسير قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣] : « اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ »[٣] .

---

(١) وفي « شرح العقيدة الطحاوية » (١ / ٣٢٤) : « وعلوه ـ تعالى ـ مطلق من كل الوجوه » .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » (١٥٠٥) ، وغيره .

(٣) رواه مسلم في « صحيحه» (٤/ ٢٠٨٤) ، وغيره .

http://www.al-maktabeh.com

حرف الجر (في) : الذي من معانيه العلو، و(أين) : وهو اسم استفهام عن مكان يثبتان لله ـ تعالى ـ الجهة

قال ابن هشام: (في): حرف جر له عشرة معان ؛ أحدها: الظرفية...، والرابع: الاستعلاء ؛ نحو : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] ، وقال :

هُمُ صلبُوا العبديَّ في جِذْعِ نَخْلَة ∴ .....

وقال آخر: بطل كأن ثيابه في سرحة »[(١)].

قلت: ما ذكره ابن هشام ؛ فيه بيان لمعنى (في) ؛ التي في حديث معاوية ابن الحكم ـ رضي الله عنه ـ ؛ الذي رواه مالك، ومسلم، وغيرهما: « قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ جَارِيَةً لِي، كَانَتْ تَرْعَى غَنَمًا لِي، فَجِئْتُهَا وَقَدْ فُقِدَتْ شَاةٌ مِنْ الْغَنَمِ، فَسَأَلْتُهَا عَنْهَا؟ فَقَالَتْ: أَكَلَهَا الذِّئْبُ ؛ فَأَسِفْتُ عَلَيْهَا ـ وَكُنْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ ـ فَلَطَمْتُ وَجْهَهَا، وَعَلَيَّ رَقَبَةٌ ؛ أَفَأُعْتِقُهَا؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ: « أَيْنَ اللهُ » ؟ فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ.

فَقَالَ : « مَنْ أَنَا » ؟ فَقَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ الله . فَقَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ : « أَعْتِقْهَا »[(٢)]، وفي رواية مسلم: « أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ »[(٣)] .

---

(١) « مغني اللبيب » (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) .

(٢) « الموطأ » (٢/ ٧٧٦ ـ ٧٧٧) .

(٣) « صحيح مسلم » (١/ ٣٨١) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

قلت: سند مالك أعلى من سند مسلم، ورجاله رجال الصحيح، ولم أقف على اسم إمام من أئمة التحديث رد هذا الحديث .

ولا يضر الوهم في اسم الصحابي الذي وقع في رواية مالك؛ فهو معاوية ابن الحكم ـ ﷺ ـ كما جاء صريحًا في رواية مسلم، والنسائي، وأبي داود، وابن الجارود، وابن حبان، وأبي عوانة، وابن أبي شيبة، والطيالسي، والطبراني، وابن مندة، وابن أبي عاصم، وغيرهم .

قال البيهقي: « قال الشافعي ـ رحمه الله ـ : اسم الرجل: معاوية بن الحكم، كذا روى الزهري، ويحيى بن أبي كثير، قال الشيخ ـ رحمه الله ـ: كذا رواه جماعة عن مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ ورواه يحيى بن يحيى عن مالك مجوّدًا؛ فقال: عن معاوية بن الحكم »[1] .

قال ابن منظور: « وأين: سؤال عن مكان »[2] .

قلت: وعلى ما تقدم فإن سؤال النبي ـ ﷺ ـ ؛ للجارية التي مر حديثها شريعة وعقيدة ؛ وهو سؤال عن الجهة، وقد أقرها النبي ـ ﷺ ـ، وشهد لها بالإيمان .

قال ابن تيمية : « قالوا ـ قبح الله مقالتهم ـ: أن الله موجود بكل مكان، وهؤلاء يقولون: ليس هو في مكان، ولا يوصف بأين، وقد قال المبلغ عن الله؛ لجارية معاوية بن الحكم ـ ﷺ ـ : أين الله ؟ وقالوا: هو من فوق كما هو

---

(١) « السنن الكبرى » (٧ / ٣٨٧) .

(٢) « لسان العرب » (١/ ٢٩٤) .

http://www.al-maktabeh.com

من تحت ؛ لا يدرى أين هو، ولا يوصف بمكان، وليس هو في السماء، وليس هو في الأرض، وأنكروا الجهة»[١].

❁ ❁ ❁

(١) «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٧١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه ؛ صفة من صفاته ؛ وتأويله بالاستيلاء مخالف للنقل، والعقل، والعربية

تأول قوم استواء الله ـ تعالى ـ بشِعْر لا يعرف قائله ؛ فلا يحتج به.

قال ابن الأنباري: « وأما قول الآخر: (من الرجز)

..... ∴ قد صرَّت البكرة يومًا أجمعا

فلا يعرف قائله ؛ فلا تكون فيه حجة» [(١)]. وقال: « هذا البيت مجهول، لا يعرف قائله، فلا يجوز الاحتجاج به » [(٢)].

قلت: ظاهر كلام هذا الإمام ؛ يدل على عدم الاحتجاج بالشعر الذي لا يعرف قائله، خشية أن يكون مصنوعًا، وهذا في باب العربية، فكيف في باب العقيدة!

قال محمد محيي الدين عبد الحميد:« هذا الشاهد مجهول النسبة إلى قائله، ويذكر بعض النحاة من البصريين أنه مصنوع » [(٣)].

قال شيخ الإسلام:« أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى؛ إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

ثُمَّ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ∴ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَلاَ دمٍ مِهْرَاقِ

---

(١) أسرار العربية » (١/ ٢٥٩).

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف » (٢/ ٤٥٦).

(٣) حاشية شرح ابن عقيل » (٢/ ٢١٠).

http://www.al-maktabeh.com

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه؛ وقالوا: إنه بيت مصنوع، لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ ، لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر، لا يعرف إسناده، وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر عن الخليل ـ كما ذكره أبو المظفر في كتابه « الإفصاح » ـ قال: سئل الخليل: هل وجدت في اللغة استوى بمعنى: استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها .

وهو إمام في اللغة ـ على ما عرف من حاله ـ فحينئذ؛ حمله على ما لا يعرف حمل باطل [١].

وعلى ما تقدم ؛ فإن بيت الشعر المستشهد به على معنى الاستواء وهو :

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ∴ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

لا يجوز الاحتجاج به من وجوه :

أولها ـ لأن قائله مجهول، وقيل: للأخطل النصراني، ولم أجده في « ديوانه »!

قال السيوطي:« النوع الثاني: معرفة ما روي من اللغة ولم يصح ولم يثبت، هذا النوع يقابل النوع الأول ؛ الذي هو الصحيح الثابت، والسبب في عدم ثبوت هذا النوع ؛ عدم اتصال سنده ؛ لسقوط راو منه، أو جهالته، أو عدم الوثوق براويته ؛ لفقد شرط القبول فيه » [٢].

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٥ / ١٤٦) .

(٢) « المزهر » (١ / ٧٨) .

مكتبة المقتدين الإسلامية

ثانيها ـ لفساد المعنى ؛ لأن بشر بن مروان ولاَّه عبد الملك بعدما عزل قطن بن عبد الله كما في « تاريخ الطبري » (٣/ ٥٢٤)، ولم تكن العراق مسلوبة حتى يستولي عليها .

ثالثها ـ لو صح هذا المعنى عن العرب ؛ لما جاز الاحتجاج به في معنى استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه ؛ لأن المشترك اللفظي لا يتعين واحد من أفراده إلا بدليل، ولما علمنا من صفات ربنا ـ عز وجل وعلا ـ الكمال، والجمال، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يقوى على مغالبته أحد، وأن معنى استولى تحمل معنى المغالبة، وعجز المستولي ابتداء، وإذا كان ذلك كذلك ؛ فيتعين تنزيه الرب ـ عز وجل ـ عن هذا الوصف الذي لا يليق به ؛ لأنه وصف نقص، والواجب على العباد إثبات ما يليق بالله ـ تعالى ـ من صفات الكمال، ونفي ما لا يليق به ـ عز وجل وعلا ـ من صفات النقص، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات .

قال اللالكائي:« أخبرنا محمد بن جعفر النحوي إجازة، ثنا أبو عبد الله نفطوية، قال: حدثني أبو سليمان داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال له ما معنى قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥] . فقال: هو على عرشه كما أخبر ـ عز وجل ـ فقال: يا أبا عبد الله ! ليس هذا معناه ؛ إنما معناه استولى . قال: اسكت ! ما أنت وهذا، لا يقال: استولى على الشيء ؛ إلا أن يكون له مضاد، فإذا غلب

http://www.al-maktabeh.com

أحدهما قيل: استولى، أما سمعت النابغة:

إِلاَّ لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ ∴ سَبْقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الأَمَدِ[1]

قلت : صحيح، ورجاله ثقات، وداود: هو إمام الظاهرية . وقد ذكره ابن منظور بلفظ فيه تغيير يسير:« قال داود بن علي الأصبهاني: كنت عند ابن الأعرابي ؛ فأتاه رجل فقال: ما معنى قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] .

فقال ابن الأعرابي : هو على عرشه كما أخبر . فقال: يا أبا عبد الله ! إنما معناه استولى، فقال ابن الأعرابي: ما يدريك ؛ العرب لا تقول استولى على الشيء حتى يكون له مضاد ؛ فأيهما غلب فقد استولى، أما سمعت قول النابغة:

إِلاَّ لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ ∴ سَبْقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الأَمَدِ

وسئل مالك بن أنس: استوى كيف استوى ؟ فقال الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة »[2] .

قال اللالكائي:« وجدت بخط أبي الحسن الدارقطني ـ رحمه الله ـ عن إسحاق الكاذي، قال : سمعت أبا العباس ثعلب يقول: استوى أقبل عليه، وإن لم يكن معوجًا، ثم استوى إلى السماء أقبل، واستوى على العرش علا، واستوى وجهه اتصل، واستوى القمر امتلأ، واستوى زيد وعمرو تشابها

(١) « اعتقاد أهل السنة » (٣/ ٣٩٩) .

(٢) « لسان العرب » (١٤/ ٤١٤) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

واستوى فعلاهما، وإن لم تتشابه شخوصهما ؛ هذا الذي يعرف من كلام العرب »[١].

قلت: وجادة صحيحة، ورجالها ثقات .

❁ ❁ ❁

al-maktabeh www. .com مكتبة المهتدين

(١) « اعتقاد أهل السنة » (٣/ ٣٩٩-٤٠٠) .

http://www.al-maktabeh.com

المعية في اللغة لا تنافي العلو، ولا يلزم منها الاتحاد والحلول، فالله ـ تعالى ـ عليٌّ في دنوِّه، قريبٌ في علوِّه

واعلم أن الواقع بعد الواو على نوعين :

الأول ـ ما يتعين نصبه على أنه مفعول معه .

الثاني ـ ما يجوز نصبه على ذلك، وإتباعه لما قبله في إعرابه معطوفًا عليه .

أما **النوع الأول** ؛ فمحله إذا لم يصح تشريك ما بعد الواو لما قبلها في الحكم، مثل: « **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ** » ، من حديث أَنَسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ : « **بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**»[1] ، ومثل : « سرتُ والقمرَ » .

قلت: هذا المثال لهذه القاعدة اللغوية ؛ يؤيد عقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات صفة العلو والمعية ؛ من غير مماسة، ولا اختلاط، ويبطل قول أهل الحلول والاتحاد .

قال شيخ الإسلام: « وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت ؛ فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة ؛ من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني ؛ دلت على المقارنة في ذلك المعنى؛ فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا »[2] .

قال الشيخ ابن عثيمين: « لا منافاة بين العلو والمعية ؛ لأن الله ـ تعالى ـ

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » (٥/ ٢٣٨٥) ، وغيره .

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ١٠٣).

مكتبة المهتدين الإسلامية

ليس كمثله شيء في جميع صفاته ؛ فهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه، وضرب شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ لذلك مثلا بالقمر، قال: إنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا، وهو موضوع في السماء، وهو من أصغر المخلوقات ؛ فكيف لا يكون الخالق ـ عز وجل ـ مع الخلق ؛ الذي الخلق بالنسبة إليه ليسوا بشيء، وهو فوق سماواته... أما أهل التعطيل ؛ فقالوا: إن الله معنا في أمكنتنا، إن كنت في المسجد؛ فالله معك في المسجد، والذين في السوق ؛ الله معهم في السوق، والذين في الحمامات ؛ الله معهم في الحمامات .

ما نزهوه عن الأقذار، والأنتان، وأماكن اللهو، والرفث، قالوا: معنا بذاته. فنحن نبطل هذا القول ؛ فالأول نقول: ما شُبْهَتُهُم ؟ وما الرد عليهم ؟

شُبْهَتُهُم: يقولون معنا ظاهر اللفظ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد:٤] .

وكل الضمائر تعود على الله ... وإذا كان معنا ؛ فنحن لا نفهم من المعية إلا المخالطة، أو المصاحبة في المكان !!

ونجيبهم عن ذلك: بأن ظاهرها ليس كما ذكرتم ؛ لو كان الظاهر كما ذكرتم ؛ لكان في الآية تناقض: أن يكون مستويًا على العرش، وهو مع كل إنسان في أي مكان، والتناقض ممنوع .

ثانياً ـ قولكم: إن المعية لا تعقل إلا مع المخالطة، أو المصاحبة في المكان؛ هذا ممنوع، فالمعية في اللغة العربية اسم لمطلق المصاحبة، وهي أوسع مدلولاً مما زعمتم، قد تقتضي الاختلاط، وقد تقتضي المصاحبة في المكان، وقد تقتضي مطلق المصاحبة ؛ وإن اختلف المكان . هذه ثلاثة أشياء :

http://www.al-maktabeh.com

١ ـ مثال المعية التي تقتضي المخالطة ؛ أن نقول: سقوني لبنًا مع ماء ؛ أي : مخلوطًا بماء .

٢ ـ ومثال المعية التي تقتضي المصاحبة في المكان ؛ قولك : وجدت فلانًا مع فلان يمشيان جميعًا، وينزلان جميعًا .

٣ ـ ومثال المعية التي لا تقتضي الاختلاط، ولا المشاركة في المكان ؛ أن يقال: فلان مع جنوده ؛ وإن كان هو في غرفة القيادة لكن يوجههم .

إذًا: هذا ليس فيه اختلاط ، ولا مشاركة في المكان. ويقال: زوجة فلان ؛ وإن كانت هي في المشرق، وهو في المغرب .

فالمعية إذاً ـ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ، كما هو ظاهر من شواهد اللغة؛ مدلولها مطلق المصاحبة .

ثم هي بحسب ما تضاف إليه ؛ فإذا قيل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [النحل:١٢٨] ؛ فلا يقتضي ذلك لا اختلاطًا، ولا مشاركة في المكان ؛ بل هي معية لائقة بالله »[١] .

قال الإمام ابن جرير الطبري:« حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤]، قال: يُعبَد في السماء ويُعبَد في الأرض »[٢] .

---

(١) « شرح الواسطية » (١/ ٣٦٣ ، ٣٦٨) .

(٢) « جامع البيان » (٢٥/ ١٠٤) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

قلت: صحيح ، ورجاله ثقات .

قال ابن قتيبة: « وأما قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤]، فليس في ذلك ما يدل على الحلول بهما، وإنما أراد به ؛ أنه إله السماء، وإله من فيها، وإله الأرض، وإله من فيها، ومثل هذا من الكلام قولك: هو بخراسان أمير، وبمصر أمير، فالإمارة تجتمع له فيهما، وهو حال بإحداهما، أو بغيرهما، وهذا واضح لا يخفى »[(١)] .

قال ابن القيم: « قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤] ؛ المراد: أنه إله عند أهل السماء ، وإله عند أهل الأرض، كما تقول العرب: فلان نبيل، مطاع في المِصْرَين ؛ أي : عند أهلهما، وليس يعنون أن ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة »[(٢)] .

قال ابن يوسف المقدسي: « فمن جملة ما احتجوا به قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤] ، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٣] ، وقوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥]، وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦] ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة:٨٥] ...

---

(١) « تأويل مختلف الحديث » (١/ ٢٧٣) .

(٢) « اجتماع الجيوش الإسلامية » (١ / ١٩٢) .

http://www.al-maktabeh.com

وأنت قد عرفت مما مر ؛ أن أهل السنة قاطبة جعلوا هذا قرب علم ؛ لا قرب ذات، وسيأتي الكلام على قوله: ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥] ، وأما قوله :﴿ فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤]، فهو ـ باتفاق المفسرين ـ بمعنى : مألوه ـ أي معبود ـ فإنه معبود فيهما، وكذلك: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٣] ؛ فإن الجار والمجرور متعلق بالله، لأنه بمعنى مَأْلُوه، أو متعلق بما بعده ، ولولا ذلك للزم عليه الظرفية ـ تعالى الله عنها ـ وعندي معنى آخر لم أر من قاله ؛ وهو: أن يكون على معنى : هو المسمى فيهما بهذا الاسم، فهو كما أنه هو الله في السماوات، هو الله في الأرض، كقولك: موسى أخو هارون في جميع الدنيا، والكعبة هي: البيت الحرام في السماء والأرض، وكقولهم: فلان أمير في خراسان، وأمير في بلخ، وسمرقند، وهو في موضع واحد، وهذا موجود في اللغة »[1] .

قلت: فأما قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١١٥] .

فقد فسرها مجاهد ـ رحمه الله ـ بقِبْلة الله[2]، وهي من باب إضافة المخلوق للخالق ـ عز وجل وعلا ـ لا من باب إضافة الصفة للموصوف .

---

(١) « أقاويل الثقات » (١ / ١٠٥-١٠٦) .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١ / ٢٩٥): « حدثنا وكيع، قال: حدثنا النضر بن عربي، قال: سمعت مجاهدًا يقول: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥] ، قال: « قبلة الله، وأينما كنتم من المشرق وغرب فاستقبلوها » . حسن .

مكتبة المهتدين الإسلامية

قال ابن تيمية: ومن عدها في الصفات فقد غلط ؛ كما فعل طائفة ؛ فإن سياق الكلام يدل على المراد ؛ حيث قال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٥] . والمشرق، والمغرب: الجهات، والوجه: هو الجهة ؛ يقال: أي وجه تريده ؛ أي: أي جهة، وأنا أريد هذا الوجه؛ أي: هذه الجهة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [البقرة:١٤٨]، ولهذا قال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] ؛ أي: تستقبلوا، وتتوجهوا، والله أعلم، وصلى الله على محمد »[1] .

وأما قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [النمل:٨] فقد اختلف المفسرون في المراد من قول الله ـ تعالى ـ: ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [النمل:٨] على أقوال عديدة، فقيل: بورك الله ـ تعالى ـ الذي في النور، وقيل: بورك نور الله، وقيل: بورك من قدرته وسلطانه في النار على تأويل محذوف ، وقيل: بورك ما في النار ؛ من أمر الله ـ سبحانه ـ الذي جعلها على تلك الصفة، وقيل: بوركت النار، وقيل: بوركت الملائكة التي في النار، وقيل: بورك موسى ـ عليه السلام وقيل: بورك النور الذي يخرج من النار، وقيل: بوركت الشجرة التي تتقد منها النار، وقيل: بوركت البقعة التي في مكان

(١) « مجموع الفتاوى » (٣/ ١٩٣) .

http://www.al-maktabeh.com

النار ؛ على تقدير مضاف .

قلت : (بُورِكَ): فعل ماض مبني للمفعول، مبني على الفتح الظاهر .

و(مَنْ): اسم موصول مبني على السكون، في محل رفع مفعول لما لم يسم فاعله، وفاعل البركة هو الله ـ تعالى ـ أي: بارك الله ـ تعالى ـ . و(في): حرف جر معناه الظرفية ، وهو مخصوص هنا بالظرفية المكانية. و(النار): اسم مجرور بـ (في) ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة .

وقبل الوقوف على معرفة مَن باركه الله ـ تعالى ـ في النار ؛ لا بد أن نعرف النار التي رآها موسى ـ ﷺ ـ .

ظاهر القرآن يدل على أن موسى ـ ﷺ ـ رأى نارا كأي نار عهدها في حياته، ولا دليل على أن هذه النار التي رآها موسى ـ ﷺ ـ من بُعْد ؛ لها ميزة تميزها عن غيرها، والذي يؤيد هذا ؛ أنه ذهب ليأخذ منها شعلة من نار لأهله؛ لكي يستدفئوا ؛ كما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل:٧] .

ومما يؤكد أنها نار لا نور، أن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل:٨] ، ولو كانت نورًا؛ لقال: جاءه ، ولقال: من في النور، ولقال: ومن حوله .

ومما لا شك فيه ؛ أن النار التي رآها موسى ـ ﷺ ـ مخلوقة، وهل هي نار

مكتبة المهتدين الإسلامية

خلقها الله ـ تعالى ـ في الشجرة ؛ ليكلم موسى ـ ﷺ ـ من جهتها ؟ أم هي جزء من الحجاب الذي جاء ذكره في الحديث: « حجابه النار »[١] ؟

الراجح الأول ؛ لأن الحجاب الذي في الحديث ؛ حجاب مخلوق، يحجب المخلوقين حتى لا يصل إليهم الحرق، ولا يحجبُ اللهَ ـ تعالى ـ، فالله لا يحجبه شيء، فهو الكبير العظيم ، وهو بكل شيء محيط، وسبحانه ؛ أن يحل في شيء من مخلوقاته .

والنار التي رآها موسى ـ ﷺ ـ بارك الله ـ تعالى ـ ما فيها؛ وهي ظرف مكاني لما فيها، وسبحان الله أن يحل في شيء من خلقه .

ويؤيد ما ذهبت إليه: أن الله ـ تعالى ـ بارك ما حول النار، فإذا قلنا: من في النار هو (الله) ؛ كان ما باركه الله ـ تعالى ـ من الأرض، والملائكة، وموسى حوله ـ تعالى الله ـ وهذا باطل ؛ لأن الله فوق عرشه، قاهر لجميع عباده، قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٨] .

قال العلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ عن التأويل الأول: « وهذا القول بعيد من ظاهر القرآن، ولا ينبغي أن يطلق على الله أنه في النار التي في الشجرة ؛ سواء قلنا: إنها نار ، أو نور ـ سبحانه جل وعلا ـ عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله .

---

(١) سيأتي ذكره قريباً .

http://www.al-maktabeh.com

وتأويل ذلك بـ(من في النار) ؛ سلطانه وقدرته لا يصح ؛ لأن صرف كتاب الله عن ظاهره المتبادر منه ؛ لا يجوز إلا بدليل يجب الرجوع إليه ؛ من كتاب الله، أو سنة نبيه ـ ﷺ ـ ، وبه تعلم ؛ أن قول أبي حيان في « البحر المحيط »: « قال ابن عباس، وابن جبير، والحسن، وغيرهم: أراد بمن في النار ذاته، وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة إلى الله ـ تعالى ـ وإذا ثبت ذلك عن ابن عباس ومن ذكر، أوّل على حذف ؛ أي : بورك من قدرته، وسلطانه في النار » .

أنه أصاب تنزيهه لله عن تلك العبارات، ولم يصب فيما ذكر من التأويل، والله أعلم .

وقال بعضهم: « إن معنى : ﴿ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ [النمل:٨] ؛ أي : بوركت النار؛ لأنها نور ؛ وبعده عن ظاهر القرآن واضح كما ترى »[1] .

قلت: وأما قولهم: بورك ما في النار من أمر الله ـ سبحانه ـ الذي جعلها على تلك الصفة ؛ فهو مخالف لظاهر القرآن واللغة .

وأما قولهم: بوركت الملائكة التي في النار ؛ فلا دليل عليه، لا من قرآن، ولا من سنة ؛ يصلح للاحتجاج به .

وأما قولهم: بورك موسى ـ ﷺ ـ فموسى لم يكن في النار ؛ بل هو من عموم من كان حولها .

---

(١) « أضواء البيان » (٤/ ٢٩٥) .

مكتبة المهتدين أضواء البيان الإسلامية

وأما قولهم: بوركت البقعة التي في مكان النار ـ على تقدير مضاف . فهو خلاف ظاهر القرآن، وتقدير المحذوف ليس بظاهر، والظاهر عدم التقدير؛ لأن الآية مستغنية عن تقدير المحذوف .

وأما قولهم: نور الله ؛ فإن كان من باب إضافة الملك للمالك ؛ فقد أصابوا ؛ لأن النور كان خارجًا من النار، وإن كان من باب إضافة الصفة للموصوف ؛ فيرده قول النبي ـ ﷺ ـ: « **لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ**[1] **وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ** » ، وقد رأى موسى ـ ﷺ ـ ذلك النور، ولم يحترق، فدل على صحة قولنا .

قلت: وأولى الأقوال عندي بالصواب ؛ قول من قال: بورك النور الذي يخرج من النار، والشجرة التي تتقد منها النار ؛ لأن النار كانت ظرفًا لهما ؛ كما هو ظاهر القرآن ؛ ولم يثبت أنها كانت ظرفًا لغيرهما، فمن ادعى أن فيها غير ما ذكر فعليه الدليل، وبالله ـ تعالى ـ نتأيد .

فإن قال قائل: لو كان الحجاب مخلوقًا لاحترق؛ والجواب أن الله ـ تعالى ـ شاء ألا يحترق، وهو مخصوص من عموم الأشياء ؛ كما أن المؤمنين سوف يرون ربهم يوم القيامة ؛ ولا يحترقون ؛ لأن الله ـ تعالى ـ يفعل ما يشاء، وهو على كل شيء قدير .

❁ ❁ ❁

(١) قال أبو عبيد القاسم بن سلام في « غريب الحديث» (٣ / ١٧٣): « جلال وجهه ونوره»

http://www.al-maktabeh.com

اشتهر في كلام العرب أن (مِنْ) بمعنى (عند)

قال ابن هشام: « (مِن) تأتي على خمسة عشر وجهًا...، التاسع موافقة عند...»[1].

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي: « وما أفسد استدلالهم بقوله ـ تعالى ـ : ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص:٣٠] على أن الكلام خلقه الله ـ تعالى ـ في الشجرة ؛ فسمعه موسى منها، وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها ؛ فإن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ [القصص:٣٠] .

والنداء: هو الكلام من بعد ؛ فسمع موسى ـ عليه السلام ـ النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠] ؛ أي: أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة ؛ كما يقول: سمعت كلام زيد من البيت ؛ يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقًا في الشجرة ؛ لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] ، وهل قال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص:٣٠] . غير رب العالمين ؟ ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله ؛ لكان قول فرعون : ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ

---

(١) «مغني اللبيب» (١/ ٤١٩-٢٢٤) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤] صدقًا ؛ إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق ؛ قد قاله غير الله، وقد فرقوا بين الكلامين ـ على أصولهم الفاسدة ـ أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون، فحرفوا وبدلوا، واعتقدوا خالقًا غير الله »[1] .

❁ ❁ ❁

(١) « شرح العقيدة الطحاوية » (١ / ١٨٦ - ١٨٧) .

http://www.al-maktabeh.com

الحجاب الذي ورد في الحديث ؛ يحجب الخلق، ولا يحجب الخالق ـ سبحانه ـ وإضافته إلى الله ـ تعالى ـ من باب إضافة الملك للمالك ؛ وليس من باب إضافة الصفة للموصوف

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ ؛ قَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ : « إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لا يَنَامُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَام، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، حِجَابُهُ النَّارُ ؛ لَوْ كَشَفَهَا لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ[1] وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ » . ثُمَّ قَرَأَ أَبُو عُبَيْدَةَ : ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل:٨] . صحيح[2] .

---

(١) قال أبو عبيد القاسم بن سلام في « غريب الحديث » (٣/ ١٧٣) : « جلال وجهه ونوره » .

(٢) رواه أحمد (٤/ ٤٠٠) من طريق وَكِيع ، حَدَّثَنَا الْمَسْعُودِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى ـ ﷺ ـ . قلت: وسماع وكيع من عبد الرحمن المسعودي قديم ؛ كما صرح بذلك الإمام أحمد . وانظر « تهذيب الكمال » (١٧/ ٢٢٣)، والمسعودي ثقة قبل الاختلاط . فالحديث صحيح . وهو في « صحيح مسلم » ؛ برواية النور ، وبرواية النار .

وقد تابع المسعودي على لفظ (حجابه النار) ؛ الأعمش، والحسن الفقيمي ؛ كما عند الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦ / ١٣٩) حدثنا محمد بن عبد الرحمن الشافعي ؛ قال: ثنا القاسم بن سعيد بن المسيب بن شريك الكوفي ؛ قال: ثنا عمرو بن عبد الغفار، عن الأعمش، والحسن بن عمرو، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى . قلت: إسناده ضعيف جدًا ؛ فيه عمرو ؛ وهو متروك .

وتابعه أيضًا: العلاء بن المسيب في « العظمة » (٢/ ٤٣٤): حدثنا محمد بن العباس، حدثنا يوسف القطان، حدثنا جرير، عن العلاء بن المسيب، عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى ...

قلت: حسن، وإسناده على شرط البخاري ، ومحمد بن العباس ؛ حافظ متقن ؛ كما في « اللسان » (٥/ ٢١٥) . الراوي أبا عبيدة ؛ ولدُ أبي موسى الأشعري ؛ كما في « مسند عبد بن حميد » (١/ ١٩١) . ==

مكتبة المهتدين الإسلامية

قال ابن تيمية: « فهذا الحديث فيه ذكر حجابه ؛ فإنّ تردد الراوي في لفظ النار والنور لا يمنع ذلك ؛ فإن مثل هذه النار الصافية ؛ التي كلم بها موسى يقال لها: نار، ونور ؛ كما سمى الله نار المصباح ؛ نورًا، بخلاف النار المظلمة، كنار جهنم ؛ فتلك لا تسمى نورًا.

فالأقسام ثلاثة: إشراق بلا إحراق ؛ وهو النور المحض ؛ كالقمر، وإحراق بلا إشراق ؛ وهى النار المظلمة، وما هو نار ونور ؛ كالشمس، ونار المصابيح التي في الدنيا توصف بالأمرين، وإذا كان كذلك، صح أن يكون نور السموات والأرض، وأن يضاف إليه النور، وليس المضاف هو عين المضاف إليه »[1].

قال ابن القيم: « فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه، ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره، ولهذا لما تجلى ـ تبارك وتعالى ـ

== حدثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان، عن حكيم بن الديلم، عن أبي بردة، عن أبي موسى...

قلت: صحيح. وإسناده على شرط الشيخين خلا حكيم، وهو ثقة. وتابع مرةُ الهمداني: أبا عبيدة، وأبا بردة ؛ كما في « السنة» لعبد الله بن أحمد (٢ / ٤٦٢) حدثني

أبو الجهم الأزرق بن علي، نا حسان ـ يعني ابن إبراهيم ـ الكرماني، نا محمد بن سلمة ـ يعني ابن كهيل ـ عن أبيه، عن أبي يحيى، أن محدثا حدثه، عن عمرو الجملي، بأثره عن مرة الهمداني، عن عبد الله بن قيس الاشعري.

قلت: وهذا إسناد ضعيف ؛ فأبو الجهم وحسان فيهما ضعف يسير من قبل الحفظ، ومحمد ضعيف، وأبو يحيى ؛ لم أعرفه ؛ ولعله سلمة بن كهيل لأن كنيته أبو يحيى. والمحدث مجهول، وبقية رجاله ثقات.

(١) « مجموع الفتاوى » (٦ / ٣٨٧).

http://www.al-maktabeh.com

للجبل، وكشف من الحجاب شيئًا يسيرًا، ساخ الجبل في الأرض، وتدكدك، ولم يقم لربه ـ تبارك وتعالى ـ ؛ وهذا معنى قول ابن عباس في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] لا تدركه الأبصار قال: ذلك الله ـ عز وجل ـ إذا تجلى بنوره ؛ لم يقم له شيء، وهذا من بديع فهمه ـ رضي الله تعالى عنه ـ، ودقيق فطنته، كيف ؟! وقد دعا له رسول الله، أن يعلمه الله التأويل، فالرب ـ تبارك وتعالى ـ يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا، ولكن يستحيل إدراك الأبصار له، وإن رأته ؛ فالإدراك أمر وراء الرؤية، وهذه الشمس ـ ولله المثل الأعلى ـ نراها؛ ولا ندركها كما هي عليه، ولا قريبًا من ذلك »[(١)].

وقال: فإذا تجلى ـ سبحانه ـ لعباده يوم القيامة، وكشف الحجاب بينهم وبينه، فهو الحجاب المخلوق، وأما أنوار الذات الذي يحجب عن إدراكها ؛ فذاك صفة للذات، لا تفارق ذات الرب ـ جل جلاله »[(٢)]ـ.

❁ ❁ ❁

(١) « الوابل الصيب » (١ / ٧٤).

(٢) « التبيان في أقسام القرآن » (١ / ١٦١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

لا يوصف ربنا ـ عز وجل ـ بمعنى البدل المباين لكمال ذاته وصفاته

فَعِلْمُ الله ـ تعالى ـ مطلقٌ ؛ وهو صفة من صفاته ؛ بل اسمه: العليم[١] عَلِم ـ سبحانه ـ « ما كان، وما يكون ، وما لم يكن ؛ لو كان كيف كان يكون »[٢]، لا تخفى عليه خافية في الأرض، ولا في السماء، وكل شيء عنده بأجل، وكل شيء عنده بمقدار .

ومن كمال علمه سبحانه ؛ أنه لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان .

النوع الرابع من أنواع البدل ؛ هو: البدل المباين[٣] .

وهذا النوع على ثلاثة أقسام:

الأول ـ بدل الإضراب، ويسمى البداء ؛ وضابطه: أن تقصد شيئًا فتقوله، ثم يظهر لك أن غيره أفضل منه ؛ فتعدل إليه مثل: هذا رجل عالم، ثم تقول: رباني[٤] .

---

(١) عليم على وزن فعيل، وهو من صيغ المبالغة .

(٢) هداية الحيارى (١/ ١٥٩).

(٣) هذه التسمية أخذتها من « شرح ابن عقيل » (٣/ ٢٤٩)، وأرى أنها أرجح من تسمية غيره ؛ لأنه جعل النوع الرابع من أنواع البدل هو: بدل الغلط ، وجعل القسم الثالث منه: بدل الغلط .

(٤) قال ابن القيم في « مفتاح دار السعادة » (١/ ١٢٤): « ... ومعنى الرباني في اللغة: الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه، وعلى ذلك حملوا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ ﴾ [المائدة: ٦٣] ، وقوله : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ [آل عمران: ٧٩] . قال ابن عباس: « حكماء فقهاء »، وقال أبو رزين: « فقهاء علماء »، وقال أبو عمر الزاهد، سألت ثعلبًا عن هذا الحرف ـ وهو الرباني ـ ؛ فقال: سألت ابن الأعرابي، فقال: « إذا كان الرجل عالمًا، عاملاً،

http://www.al-maktabeh.com

الثاني ـ بدل النسيان، وضابطه: أن تبني كلامك في الأول على ظن، ثم تعلم خطأه ؛ فتعدل عنه، كما لو قلت: (قَرَأْتُ جُزْءَ تَبَارَكَ ، عَمَّ)، قصدت (تبارك)، ثم تبين لك أنك نسيت، ثم بادرت إلى ذكر الجزء الذي تذكرته، وهو (عمَّ) ؛ فـ(عَمَّ) بدل نسيان من (تبارك) .

الثالث ـ بدل الغلط، وضابطه: أن تريد كلامًا فيسبق لسانك إلى غيره، وبعد النطق تعدل إلى ما أردت أولاً، نحو (صَلَّيتُ ثَلاثَاً أَرْبَعَاً) تكلمتَ فغلط لسانُك، فقمتَ بتصحيح ما وقعتَ فيه، أردتَ أربعًا ؛ فقلتَ: (ثلاثا) فـ(أربعًا) ؛ بدل غلط من (ثلاثًا)[1] .

❁ ❁ ❁

== معلمًا، قيل له: هذا رباني؛ فإن خرم عن خصلة منها لم نقل له: رباني». قال ابن الأنباري ؛ عن النحويين: « أن الربانيين منسوبون إلى الرب، وأن الألف والنون زيدتا للمبالغة في النسب ، كما تقول: لحياني وجبهاني؛ إذا كان عظيم اللحية والجبهة ... » .

(١) « بعض النحاة لم يفرق بين بدل النسيان والغلط، فسماهما بدل الغلط، وبعضهم فرَّق، والحق أن بينهما فرْقًا ؛ فبدل النسيان متعلق بالعقل، وبدل الغلط متعلق باللسان، والله ـ تعالى ـ أعلم » وانظر: « النحو الوافي » (٣/ ٦٧١) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

دخول (إلى) مع النظر؛ يدل على نظر العين؛ فالتعدية بها ينفى معنى الانتظار، ويثبت أن المؤمنين سيرون ربهم عِيانًا يوم القيامة

قال مكي بن أبي طالب القيسي: « ودخول (إلى) مع النظر ؛ يدل على أنه نظر العين، وليس من الانتظار، ولو كان من الانتظار ؛ لم تدخل معه (إلى) .

ألا ترى أنك لا تقول: (انتظرت إلى زيد)، وتقول: (نظرت إلى زيد) . فإلى تصحب نظر العين، ولا تصحب نظر الانتظار .

فمن قال : إن (ناظرة) بمعنى : منتظرة ؛ فقد أخطأ في المعنى، وفي الإعراب، ووضع الكلام في غير موضعه .

وقد ألحد بعض المعتزلة في هذا الموضع، وبلغ به التعسف والخروج من الجماعة إلى أن قال: (إلى) ليست بحرف جر ؛ إنما هي: اسم واحد آلاء، وربها مخفوض ؛ بإضافة إلى إليه، لا بحرف الجر، والتقدير عنده: نعمة ربها منتظرة .

وهذا محال في المعنى؛ لأنه ـ تعالى ـ قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] . أي : ناعمة، وقد أخبرنا أنها ناعمة. فدخل النعيم بها، وظهرت دلائله عليها.

فكيف ينتظر ما أخبرنا الله أنه حال فيها ؟! إنما ينتظر الشيء الذي هو غير موجود، فأما أمر موجود حال فكيف ينتظر ؟! وهل يجوز أن تقول: أنا انتظر زيدًا ؛ وهو معك لم يفارقك، ولا يؤمل مفارقتك ؟! هذا جهل عظيم

http://www.al-maktabeh.com

من متأولـه .

وذهب بعض المعتزلة إلى أن ناظرة: من نظر العين، ولكن قال معناه: إلى ثواب ربها ناظرة. وهو أيضًا خروج عن الظاهر. ولو جاز هذا لجاز (نظرت إلى زيد) بمعنى: نظرت إلى عطاء زيد. وهذا نقض لكلام العرب، وفيه اختلاط المعاني، ونقضها على أنا نقول: لو كان الأمر كذلك ؛ لكان أعظم الثواب المنتظر: النظر إليه لا إله إلا هو »[١] .

وقال النسفي: « وحمل النظر على: لأمر ربها، أو لثوابه، لا يصح ؛ لأنه يقال : نظرت فيه ؛ أي : تفكرت ونظرته: انتظرته . ولا يعدى بـ(إلى) إلا بمعنى الرؤية »[٢] .

❁ ❁ ❁

(١) « مشكل إعراب القرآن » (٢ / ٧٧٨- ٧٧٩) .

(٢) « تفسير النسفي » (٤ / ٣٠٠) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

(لن) حرف نفي لا يفيد التأبيد ـ خلافًا لمن زعمه ـ لينفي رؤية المؤمنين لربهم ـ سبحانه ـ يوم القيامة ، ولو كان يفيد التأبيد ؛ لما قيدته العرب بالزمان ، ولم يأت استقبال المنفي بها ، مغيًّا إلى غاية

قال الثعالبي: « ولو بقينا مع هذا النفي بمجرده ؛ لقضينا أنه لا يراه موسى أبدًا؛ ولا في الآخرة، وهو قول مرجوح لم يتفطن له ـ رحمه الله ـ، والحق الذي لا شك فيه: أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد .

قال بدر الدين أبو عبد الله بن مالك في «شرح التسهيل »: « ولن كغيرها من حروف النفي، في جواز كون استقبال المنفي بها منقطعًا عند حد، وغير منقطع . وذكر الزمخشري في « أنموذجه»: أن لن لتأبيد النفي .

وحامله على ذلك اعتقاده: أن الله ـ تعالى ـ لا يُرى . وهو اعتقاد باطل ؛ لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله ﷺ، واستدل على عدم اختصاصها بالتأبيد؛ بمجيء استقبال المنفي بها مُغَيًا إلى غاية، ينتهي بانتهائها، كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه:٩١] . وهو واضح انتهى »[1] .

ونحوه لابن هشام ولفظه: ولا تفيد (لن) توكيد المنفي ؛ خلافًا للزمخشري في « كشافه »، ولا تأبيده ؛ خلافًا له في « أنموذجه » ، وكلاهما

(١) « تفسير الثعالبي » (٢/ ٥٢) .

http://www.al-maktabeh.com

دعوى بلا دليل . قيل: ولو كانت للتأبيد ؛ لم يقيد منفيها باليوم في : ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]، ولكان ذكره الأبد في﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾ [البقرة:٩٥] . تكرارًا . والأصل عدمه . انتهى من « المغني »[1] .

❁ ❁ ❁

(١) « تفسير الثعالبي » (٢ / ٥٢-٥٣) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

استعملت العرب ضمير المتكلم المتعدد للواحد المعظم لنفسه ؛ فإذا أسند الفعل لله ـ تعالى ـ بضمير الجمع ؛ فهو للتعظيم

بعض الذين لا يقدرون الله حق قدره، يلبّسون على عوام المسلمين ؛ فيقولون: عندنا دليل من القرآن ؛ على أن مع الله آلهة أخرى ـ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا ـ فإن قيل لهم: وما هو؟ قالوا: قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[التين: ٤] . فالضمير في (خلقنا) يدل على متعدد .

ومثل هذه الشبهة ؛ لولا وجودها في الواقع ؛ ما رددت عليها ؛ لظهور بطلانها، وباختصار: إما أنهم على علم بلغة العرب، وهم يعلمون أن العرب استعملت ضمير المتكلم المتعدد للواحد المعظم لنفسه ؛ كقول يوسف ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم : ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾[يوسف: ٧٨- ٧٩] .

فيكون قولهم من باب كتمان الحق مع العلم به، وإما أنهم على جهل بلغة العرب ؛ وأيهما كان ؛ فإن الذي يكتم الحق ، أو من يجهله ، لا يؤخذ منه دين الله ـ تعالى ـ لأنه ليس من أهل الذكر ؛ الذين أمرنا الله ـ تعالى ـ بسؤالهم، وأخذ العلم عنهم إذا جهلناه .

http://www.al-maktabeh.com

إذا وقع خبر كان صفة لله ـ تعالى ـ فهو على التأبيد والدوام ، من غير انقطاع ؛لأن صفات الله ـ تعالى ـ أزلية أبدية

(كان) فعل ماض ناقص، يفيد اتصاف الاسم بالخبر في الماضي ؛ إما مع الانقطاع، وإما مع الاستمرار، فمثالها مع الانقطاع ؛ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣] .

ومثالها مع الاستمرار ؛ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان :٢٠].

قال ابن منظور: « قال ابن بري: كان ؛ تكون بمعنى مضى، وتقضَّى، وهي التامة؛ وتأتي بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع، وهي الناقصة... ومن شواهدها بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع؛ قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفتح:١٤] أي : لم يزل على ذلك »[1] .

---

(١) لسان العرب (١٢/ ١٩٣-١٩٤).

مكتبة المهتدين الإسلامية

قلت: فيما تقدم رد على الذين لا يقدرون الله ـ تعالى ـ حق قدره ؛ يقولون: إن الله قد اتصف بخبر كان في الزمن الماضي، أما الحاضر، والمستقبل ؛ فلا! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا ! وهذا اعتقاد فاسد، مبناه على الجهل بالله ـ تعالى ـ أولاً، وبلغة العرب ثانيًا .

ويقال في(ليس) ؛ كما قيل في كان، نحو قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال:٥١] .

ومن أراد الزيادة فعليه بـ « لسان العرب » (١٢/ ١٩٤) .

❁ ❁ ❁

http://www.al-maktabeh.com

الواو العاطفة تدل على مطلق الجمع ، ولا تفيد الترتيب ؛ فهي تدل على التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي أسند إليهما ، فَجَمْعُ مشيئة الله ـ تعالى ـ مع مشيئة العبد بحرف الواو ؛ لا يدل على أن مشيئة الله ـ تعالى ـ مقدمة على مشيئة العبد ، ولا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ـ تعالى ـ فأفضت إلى تشابه المشيئتين ، وأما ثُمَّ ؛ فتفيد الجمع والترتيب ، ولا يُشَّرك ما بعدها بما قبلها[1] ، فمن قال : ما شاء الله وشئت ، أو لولا الله وفلان ، وما أشبه ذلك ، فقد أشرك بالله ـ تعالى ـ

ومن فوائد معرفة معنى (الواو ، وثم): التحرز من الوقوع في الشرك الذي نهى النبي ـ ﷺ ـ عنه في الخبر الذي رواه النسائي، أَخْبَرَنَا يُوسُفُ بْنُ عِيسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مِسْعَرٌ، عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ قُتَيْلَةَ ـ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ ـ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمْ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا ـ أَنْ يَقُولُوا: **وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ**»[2] . صحيح .

قال ابن منظور: « المشيئة مهموزة : الإرادة ، وقد شئت الشيء أشاؤه،

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (١/ ١٥٨-١٦٠)، و« لسان العرب » (٢/ ١٣٢) .

(٢) رواه النسائي في « المجتبى » (٧/ ٦)، وغيره، ورجاله رجال الصحيح ؛ خلا عبد الله وهو ثقة .

مكتبة المهتدين الإسلامية

وإنما فرق بين قوله: ما شاء الله وشئت، وما شاء الله ثم شئت؛لأن الواو تفيد الجمع دون الترتيب، وثم تجمع وترتب، فمع الواو؛ يكون قد جمع بين الله وبينه في المشيئة، ومع ثم ؛ يكون قد قدم مشيئة الله على مشيئته » .

وقال الحكمي: « والفرق بين الواو وثم ؛ أنه إذا عطف بالواو كان مضاهيا مشيئة الله بمشيئة العبد ؛ إذ قرن بينهما، وإذا عطف بـ (ثم) فقد جعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ـ عز وجل ـ كما قال الله ـ تعالى ـ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان:٣٠] .

ومثله قول: لولا الله وفلان ؛ هذا من الشرك الأصغر، ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان ، ذكره إبراهيم النخعي .

ولابن أبي حاتم ؛ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قول الله ـ عز وجل ـ :﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] . قال : الأنداد؛ هو الشرك، أخفى من دبيب النمل، على صفاة سوداء، في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله ؛ وحياتك يا فلان، وحياتي ، ويقول: لولا كلبة هذا ؛ لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار ؛ لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله به شرك[٢] .

---

(١) « لسان العرب » (١ / ١٠٣-١٠٤) .

(٢) « معارج القبول » (٢ / ٤٩٧) .

http://www.al-maktabeh.com

وقال العلائي: « دلالة الواو العاطفة... تدل على مطلق الجمع، من غير إشعار بخصوصية المعية، أو الترتيب، ومعنى ذلك ؛ أنها تدل على التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي أسند إليهما، من غير أن يدل على أنهما معا بالزمان، أو أن أحدهما قبل الآخر، ولا ينافي هذا احتمال أن يكون ذلك وقع منهما ؛ معًا، أو مرتبًا، على حسب ما ذكرا به، أو على عكسه، ولا يفهم شيء من ذلك من مجرد الواو العاطفة، وهذا قول الجمهور من أئمة العربية ، والأصول ، والفقه ، ونص عليه سيبويه في بضعة عشر موضعًا في « كتابه »، ونقل أبو علي الفارسي اتفاق أئمة العربية عليه »[(١)] .

❁ ❁ ❁

---

(١) « الفصول المفيدة » (١/ ٦٧-٦٨).

مكتبة المهتدين الإسلامية

إذا سبقت إلا بنفي، أو نهي، أو استفهام إنكاري؛ كانت أداة حصر، وسمي الاستثناء عندئذ: بالمفرَّغ[١]

الحصر هو: « إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه »[٢]. ومثاله قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

فالفعل الذي قبل إلا (نعبدَ)؛ وهو: فعل مضارع، منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره نحن، وإلا أداة حصر، والاسم الأحسن (الله): منصوب على التعظيم.

فثبتت العبادة لله وحده؛ لا شريك له، وانتفت عما سواه؛ من الملائكة، والبشر، والجن، والشمس، والقمر، والنجوم، والأنهار، والأشجار، والأحجار، وغير ذلك، وأفادت: (إلا)؛ حصر العبادة بالله وحده. وهكذا يقال في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧].

---

(١) « معجم حروف المعاني » (١/ ٣٣٦). والمقصود بالمفرغ: أن ما قبل إلا تفرغ لما بعدها. وانظر: « شرح ابن عقيل » (٢ / ٢١٨).

(٢) « الإتقان » (٢ / ١٣٤).

http://www.al-maktabeh.com

لام الجر تؤدي عدداً من المعاني ؛ ومن معانيها : الاختصاص

ومثالها ـ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢] (لله): الاسم الأحسن ؛ مجرور بلام الاختصاص، وعلامة جره الكسرة .

وقد أفادت اللام اختصاص الصلاة، والنسك، والحياة، والوفاة، بالله وحده، لا شريك له، خالصة له، وليس لغيره شيء منها .

❁ ❁ ❁

مكتبة المهتدين الإسلامية

الجنة والنار موجودتان الآن لا تفنيان أبدًا، ولا يفنى جزء منهما، ويدل على ذلك الفعل الماضي، وظرف الزمان

أما الفعل الماضي: فقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٣١].

وقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣].

(أُعدتْ) فعل ماض مبني للمفعول، والتاء للتأنيث، والمفعول الذي لم يسم فاعله: ضمير مستتر، تقدره هي، وهذا يدل على أن الجنة والنار خلقتا في الزمن الذي هو قبل زمان التكلم، ولم أقف على أثر يدل على زمان خلقهما، فالله ـ تعالى ـ أعلم.

ويؤكد هذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

قلت: ويؤيد الآية الحديث المتفق عليه: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قَالَ: « **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ؛ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** »[1].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٤٦٤، ٥/ ٢٣٨٨)، ومسلم (٤/ ٢١٩٩)، وغيرهما.

http://www.al-maktabeh.com

وأما ظرف الزمان فقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [النساء:١٢٢] ، وقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

(أبدًا) : ظرف زمان منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة . قال ابن منظور: « الأبد: الدائم، والتأبيد: التخليد »[1].

قلت: فأهل الجنة في الجنة على الدوام والتأبيد؛ ويؤيده قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾ [هود: ١٠٨]. وأهل النار في النار على الدوام والتأبيد؛ ويؤيده قول الله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٧].

ويؤيد هذا وهذا قول النبي ـ ﷺ ـ: « **يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ! فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ؛ هَذَا الْمَوْتُ . وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي يَا أَهْلَ النَّارِ ! فَيَشْرَئِبُّونَ، وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ؛ هَذَا الْمَوْتُ . وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ـ فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ! خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ** ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ

---

(١) لسان العرب (١/ ٤٠).

مكتبة المهتدين العلمية الإسلامية

إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩] وَهَؤُلاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا، وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ »[١] .

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي: « ومن أدلة القائلين ببقائها، وعدم فنائها، قوله: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٦٨] .

﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٥] .

﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ:٣٠] .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩] .

﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] .

﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥] ، أي : مقيمًا لازمًا .

وقد دلت السُّنة المستفيضة ؛ أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتها، بل بإبقاء الله لهما »[٢] .

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٧٦٠)، وغيره .

(٢) « شرح العقيدة الطحاوية » (١ / ٤٨٥-٤٨٦) .

http://www.al-maktabeh.com

مما يفيد العموم عند أهل اللغة: المفرد المضاف، والنكرة في سياق النفي، والنهي، والشرط[١]

وفائدة معرفة المضاف، والمضاف إليه؛ أن المفرد المضاف عند أهل اللغة يفيد العموم، مثل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فخاتم مضاف منصوب، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة؛ لأنه معطوف، والنبيين مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، فالنبي محمد ـ ﷺ ـ، لا نبي بعده، ويقوي هذا؛ أن اللام في النبيين للجنس، فشملت جميع الأنبياء.

ويزيد هذا المعنى قوة؛ قوله ـ ﷺ ـ: « **كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي ...** »[٢]، وقوله ـ ﷺ ـ: « **إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا؛ فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ؛ إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النبيين** »[٣].

وفيما قدمت ردٌّ على من يدعي النبوة بعد النبي محمد ـ ﷺ ـ، فإن قالوا: « لا نبي بعدي » أي؛ من العرب. قلنا: قولكم مردود، لأن النكرة في كلام العرب ـ وهي (نبي) ـ في سياق النفي؛ تفيد العموم، فالمعنى: لا نبي

---

(١) انظر « البرهان في أصول الفقه » (١ / ٢٣٢)، و« إرشاد الفحول » (١ / ٢٠٨).

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » (٣/ ١٢٧٣)، وغيره.

(٣) رواه البخاري في « صحيحه » (٣/ ١٣٠٠)، وغيره.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بعدي ؛ من العرب، ولا من العجم .

فإن قالوا: المقصود بالخاتم: خاتم اليد على وجه المجاز في بيان مكانته ـ ﷺ ـ بين الأنبياء . قلنا: تأويلكم مردود من وجهين:

أولها ـ مخالفة الظاهر، فالسياق والقرائن في المشترك اللفظي يرد هذا التأويل .

وثانيها ـ مخالفة قوله ـ ﷺ ـ: « فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النبيين » وبالله ـ تعالى ـ وحده نتأيد.

ومن هذا الباب ؛ قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد:١٤] ، وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:١٦] ، وقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾[الإسراء:٥٦]، وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ

http://www.al-maktabeh.com

يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣]، وقول الله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

فكلمة (عبادة) و(دون) ؛ اسمان مفردان[1]، مجروران بحرف الجر، وهما مضافان ؛ الأول منهما : مضاف إلى (ربه) ـ عز وجل ـ والثاني: مضاف إلى الضمير العائد على الله ـ تعالى ـ .

والعبادة ـ كما عرفها شيخ الإسلام ـ هي: « اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ؛ من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة ؛ فالصلاة، والزكاة،

(١) والمراد بالمفرد هنا: ما ليس جملة، ولا شبيهًا بالجملة.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار ؛ واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والمملوك ؛ من الآدميين، والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك ؛ هي من العبادة لله »[1].

قلت : وإذا كان ذلك كذلك ، فمن صرف شيئًا من العبادة لغير الله ـ تعالى ـ فقد أشرك بنص القرآن، ويزيد المعنى قوة ؛ أن كلمة (أحدا) ؛ التي في آخر آية من سورة الكهف ؛ نكرة جاءت في سياق النهي، وهي تفيد عموم ما سوى الله ـ تعالى ـ من الملائكة، والأنبياء ، والأولياء، والصالحين، والشجر، والحجر، وسائر المخلوقين .

ومن هذا الباب قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء:١] .

(عبدِه) اسم مجرور بالباء ، وعلامة جره الكسرة الظاهرة ، وهو مضاف،

(١) « مجموع الفتاوى » (١٠ / ١٤٩) .

http://www.al-maktabeh.com

و(الهاء): ضمير متصل ، مبني على الكسر، في محل جر مضاف إليه .

وإذا كان الروح والجسد يدخلان في مسمى العبد ، وقد أخبر الله ـ تعالى ـ أنه أسرى بعبده، ولا دليل على تخصيص الروح دون الجسد، والعبد مفرد مضاف ؛ يفيد عموم الجسد والروح، دل على أن الإسراء وقع بهما .

فإن قال قائل: بل عندنا دليل يدل على تخصيصه بالروح دون الجسد، وهو قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠] .

قلنا: ليس تأويل الآية كما ذهبت ؛ فالرؤيا في هذه الآية ؛ رؤيا عين ، لا منام ، كما في « صحيح البخاري » (٣/ ١٤١٢): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَى ـ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠] « قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ ، أُرِيَهَا رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالَ: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾، قَالَ : هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ » .

قال ابن حجر: « والذي ينبغي أن لا يجري فيه الخلاف ، أن الإسراء إلى بيت المقدس كان في اليقظة، لظاهر القرآن، ولكون قريش كذبته في ذلك،

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولو كان منامًا لم تكذبه فيه، ولا في أبعد منه »[(١)].

قال ابن منظور: قال ابن بري: وقد جاء الرؤيا في اليقظة قال الراعي:

فَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَاشَ فُؤَادُهُ ∴ وَبَشَّرَ نَفْساً كَانَ قَبْلُ يَلُومُهَا

---

(١) قال ابن حجر في « فتح الباري » (١/ ٤٦٠) : « وأما حديث شريك ؛ فقال مسلم في « صحيحه » (١/ ١٤٨) : « وقدم فيه شيئاً وأخر ، وزاد ونقص » ، وقال النووي في « شرح صحيح مسلم » (٢ / ٢٠٩-٢١٠): « وقد جاء في رواية شريك ـ في هذا الحديث في الكتاب ـ أوهام أنكرها عليه العلماء ، وقد نبه مسلم على ذلك بقوله: « فقدم وأخر، وزاد ونقص »، منها قوله: « وذلك قبل أن يوحى إليه » ، وهو غلط لم يوافق عليه ، فإن الإسراء أقل ما قيل فيه ؛ أنه كان بعد مبعثه ـ ﷺ ـ بخمسة عشر شهرًا، وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر، قبل الهجرة بسنة، وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه ـ ﷺ ـ بخمس سنين ، وقال ابن إسحاق: أسرى به ـ ﷺ ـ وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل، وأشبه هذه الأقوال ؛ قول الزهري ، وابن إسحاق، إذ لم يختلفوا أن خديجة ـ رضي الله عنها ـ صلت معه ـ ﷺ ـ بعد فرض الصلاة عليه ، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة بمدة ؛ قيل: بثلاث سنين، وقيل بخمس، ومنها ؛ أن العلماء مجمعون على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء ، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه ، وأما قوله ؛ في رواية شريك « وهو نائم » ، وفى الرواية الأخرى : « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان » ، فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ؛ ولا حجة فيه ؛ إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه، وليس في الحديث ما يدل على كونه نائمًا في القصة كلها، هذا كلام القاضي ـ رحمه الله ـ . وهذا الذي قاله في رواية شريك ؛ وأن أهل العلم أنكروها، قد قاله غيره ، وقد ذكر البخاري ـ رحمه الله ـ رواية شريك هذه عن أنس في (كتاب التوحيد) من « صحيحه » ، وأتى بالحديث مطوَّلاً ، قال الحافظ عبد الحق ـ رحمه الله ـ في كتابه « الجمع بين الصحيحين » بعد ذكر هذه الرواية: « هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر ، عن أنس ، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقنين ، والأئمة المشهورين ؛ كابن شهاب ، وثابت البناني، وقتادة ـ يعنى ـ عن أنس ، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث ؛ قال : والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها » . قلت: وانظر ما ذكره الأمير في « توضيح الأفكار » (١/ ١٢٢) .

http://www.al-maktabeh.com

وعليه فسر قوله ـ تعالى ـ :﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء:٦٠] . قال: وعليه قول أبي الطيب:

« ورُؤياكَ أَحْلَى في العُيُونِ مَن الغُمضِ »[١] .

❁ ❁ ❁

(١) « لسان العرب» (١٤ / ٢٩٨) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

إذا دخلت (أل) على الاسم المنكر فأفادت التعريف فإما أن تكون عهدية أو جنسية [١]

اعلم أن لهذه القاعدة تطبيقات كثيرة جدا، ولكني أحب أن أخصها في الدفاع عن أصحاب رسول الله ﷺ ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ فإني أشهد الله ـ تعالى ـ ومن بلغ ؛ أني أحبهم ، وأبغض من يبغضهم ، فهم نقلة القرآن والسنة ، ومن طعن فيهم ؛ فقد طعن في القرآن والسنة ، وفي تزكية الله ـ تعالى ـ لهم .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠] .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] .

---

(١) انظر « مغني اللبيب » (١/ ٧٢) .

http://www.al-maktabeh.com

﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠]

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨] .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] .

قال الإمام الطبري: « وقوله ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾؛ يقول ـ تعالى ذكره ـ يعجب هذا الزرع ـ الذي استغلظ فاستوى على سوقه ـ في تمامه، وحسن نباته، وبلوغه، وانتهائه، الذين زرعوه؛ ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ يقول: فكذلك مثل محمد وأصحابه، واجتماع عددهم حتى

مكتبة المهتدين الإسلامية

كثروا ونموا، وغلظ أمرهم كهذا الزرع الذي وصف ـ جل ثناؤه ـ صفته، ثم قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ فدل ذلك على متروك من الكلام، وهو أن الله ـ تعالى ـ فعل ذلك بمحمد ﷺ ـ وأصحابه ليغيظ بهم الكفار، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل »[1].

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:٨-١٠].

قلت: قد سبق في الآيات ذكر المهاجرين والأنصار ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وكل منهما جمع محلّى باللام، أفاد عموم أفراد الجمعين.

ويشبه الجمع المحلى باللام (الذين)، فهو أيضًا من ألفاظ العموم؛ كما لا يخفى، وقد سبق ذكره في الآيات وبالله وحده ـ تعالى ـ أتأيد، وله الحمد ـ سبحانه ـ الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) « جامع البيان » (٢٦ / ١١٥).

http://www.al-maktabeh.com

والذي أدين الله ـ تعالى ـ به ؛ أن الصحابي هو: « من لقي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مؤمنًا به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة »[١] ورتبتهم في العدالة والتوثيق أسمى المراتب، وهم متفاوتون في الصحبة، وكلهم يدخلون تحت مطلق الصحبة، ولا يدخل كلهم في الصحبة المطلقة ؛ فتنبه .

وقد اشترط قوم في ضابط الصحابي شروطًا لا يسلّم لواحد منها ؛ ويكفي في ردها أثر أنس ـ ﷺ ـ ؛ الذي أورده ابن الصلاح: « وروينا عن شعبة، عن موسى السيلاني، وأثنى عليه خيرًا، قال: أتيت أنس بن مالك فقلت: هل بقي من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أحد غيرك ؟ قال: بقي ناس من الأعراب، قد رأوه، فأما من صحبه فلا . إسناده جيد؛ حدث به مسلم بحضرة أبي زرعة »[٢] .

قال السخاوي: « لكن قد يجاب؛ بأنه أراد إثبات صحبة خاصة، ليست لتلك الأعراب، وكذا إنما عنى أبو زرعة، ومن أشير إليهم صحبة خاصة دون العامة،

---

(١) « نخبة الفكر » (١٢) .

(٢) « التقييد والإيضاح » (٢٨٤) .

* قال العراقي: « وقع في النسخ الصحيحة التي قرأت على المصنف السبلاني... » .

قلت: أثر أنس رواه ابن عساكر في « تاريخ مدينة دمشق » (٩ / ٣٧٩): أخبرنا أبو بكر الأنصاري، نا أبو محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حيوية، أنا أحمد بن معروف، حدثنا الحسين ابن الفهم، أنا محمد بن سعد، أنا علي بن محمد، عن شعبة، عن محمد السبلاني، قال: « أتيت أنس بن مالك فقلت: أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قد بقي قوم من الأعراب فأما من أصحابه، فأنا آخر من بقي » . **إسناده حسن** .

مكتبة المهتدين الإسلامية

وما تمسكوا به لهذا المذهب ؛ من خطابه لخالد بن الوليد في حق عبد الرحمن ابن عوف، أو غيره ؛ بقوله: « لا تسبوا أصحابي »، مردود بأن نهي الصحابة عن سب صحابي آخر ؛ لا يستلزم أن لا يكون المنهي عن السب غير صحابي، فالمعنى: لا يسب غير أصحابي أصحابي، ولا يسب بعضهم بعضًا »[(١)] .

وعليه : فإن أبا بكر، وعمر، وعثمان[(٢)]، وعلي، والمغيرة بن شعبة ؛ أصحاب بيعة الرضوان ، ومعاوية ـ ﷺ ـ وغيرهم ؛ مما طعن فيهم ؛ يدخلون تحت عموم الصحابة بظاهر ما تقدم من القرآن، فأما الخلفاء الراشدون، والمغيرة بن شعبة ؛ فهم من أصحاب الشجرة، وأمرهم في غاية الوضوح ؛ لقول النبي ـ ﷺ ـ: « **لا يَدْخُلُ النَّارَ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا** » ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَسُولَ الله . فَانْتَهَرَهَا ؛ فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١] ، فَقَالَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ: « **قَدْ قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ**: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم:٧٢] »[(٣)] .

وأما معاوية ﷺ؛ فقد شهد له ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بالصحبة، وشهد على نفسه بها، كما روى ذلك البخاري في « صحيحه » عَنْ ابْنِ أَبِي

---

(١) « فتح المغيث » (٣ / ١٠١).

(٢) بايع النبي ـ ﷺ ـ عن عثمان بيعة الرضوان ؛ بعد أن بعثه إلى قريش ليعلمهم أن النبي ـ ﷺ ـ جاء معتمرًا لا محاربًا، فضرب بيده اليمنى يده اليسرى، وقال : « هذه يد عثمان » ؛ كما روى ذلك البخاري في « صحيحه »، وجمع من المحدثين .

(٣) رواه مسلم في « صحيحه » (٤/ ١٩٤٢)، وغيره .

http://www.al-maktabeh.com

مُلَيْكَةَ قَالَ: « أَوْتَرَ مُعَاوِيَةُ بَعْدَ الْعِشَاءِ بِرَكْعَةٍ، وَعِنْدَهُ مَوْلًى لابْنِ عَبَّاسٍ، فَأَتَى ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ: دَعْهُ ؛فَإِنَّهُ قَدْ صَحِبَ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : إِنَّكُمْ لَتُصَلُّونَ صَلَاةً لَقَدْ صَحِبْنَا النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ فَمَا رَأَيْنَاهُ يُصَلِّيهَا؛ وَلَقَدْ نَهَى عَنْهُمَا ـ يَعْنِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعَصْرِ ـ »[1].

قال العيني: « مطابقته للترجمة من حيث إن فيه ذكر معاوية، وفيه دلالة أيضاً على فضله ؛ من حيث إنه صحب النبي ـ ﷺ ـ ...، قوله ؛ دعه أي: اترك القول فيه، والإنكار عليه ؛ فإنه صحب رسول الله ـ ﷺ ـ وإنه عارف بالفقه »[2].

وكان معاوية ـ رضي الله عنه ـ كاتبًا للوحي، أمينًا عليه، اختاره الله ـ تعالى ـ لكتابة كلامه، واستأمنه رسوله ـ ﷺ ـ على خبر السماء، وما أثر عنه ـ رضي الله عنه ـ أنه بدّل أو حرّف، ولو فعل لما أقره الله ـ تعالى ـ ولفضح أمره، وهذا مما يستدل به على عدالته .

قال ابْنُ عَبَّاسٍ: « كُنْتُ غُلامًا أَسْعَى مَعَ الصِّبْيَانِ، قَالَ: فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا نَبِيُّ الله ـ ﷺ ـ خَلْفِي مُقْبِلاً ؛ فَقُلْتُ: مَا جَاءَ نَبِيُّ الله ـ ﷺ ـ إِلا إِلَيَّ، قَالَ: فَسَعَيْتُ حَتَّى أَخْتَبِئَ وَرَاءَ بَابِ دَارٍ، قَالَ: فَلَمْ أَشْعُرْ حَتَّى تَنَاوَلَنِي ؛ قَالَ: فَأَخَذَ بِقَفَايَ ، فَحَطَأَنِي حَطْأَةً، قَالَ: اذْهَبْ فَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ ؛ وَكَانَ كَاتِبَهُ. قَالَ

(١) « صحيح البخاري » (٣/ ١٣٧٣) .
(٢) « عمدة القاري » (١٦ / ٢٤٨) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

فَسَعَيْتُ، فَقُلْتُ: أَجِبْ نَبِيَّ الله ـ ﷺ ـ، فَإِنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ »[١] . صحيح .

ويقوي فهم أنس ـ رضي الله عنه ـ في الأثر السالف لمعنى الصحبة ـ قول النبي ـ ﷺ ـ: « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ؛ يَغْزُو فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ ؛ ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ؛ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنْ النَّاسِ ؛ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ ؛ فَيُفْتَحُ لَهُمْ »[٢] .

والشاهد منه: « فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ الله ـ ﷺ ـ » .

ومن الأدلة على عدالة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قول الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد:١٠].

والشاهد ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ .

(كلاً): مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المنونة، والتنوين في (كلاً) ؛ عوض عن كلمة، والتقدير: كل واحد ممن أنفق قبل الفتح وقاتل، وكل واحد ممن أنفق بعد الفتح وقاتل ؛ وعَدَه الله ـ تعالى ـ الجنة. قال

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (١/ ٢٩١)، وغيره ، وأصله في مسلم .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » (٤/ ١٩٦٢)، وغيره . وفي لفظ البخاري في « صحيحه» (٣/ ١٠٦١) : « فيكم من صحب النبي ـ ﷺ ـ » .

http://www.al-maktabeh.com

مجاهد، وقتادة: الحسنى : الجنة[١] .

وأختم الكلام عن الصحابة ـ ﷺ ـ بقول ثلاثة أئمة من أئمة الدين:

قال الإمام أحمد: « ثم أفضل الناس بعد هؤلاء ؛ أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه ؛ سنة، أو شهرًا، أو يومًا، أو ساعة، أو رآه، فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه .

قال الإمام البخاري: ومن صحب النبي ـ ﷺ ـ أو رآه من المسلمين ؛ فهو من أصحابه .

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب: لا خلاف بين أهل اللغة في أن القول صحابي ؛ مشتق من الصحبة، وأنه ليس بمشتق من قدر منها مخصوص، بل هو جار على كل من صحب غيره، قليلاً كان، أو كثيرًا »[٢] .

---

(١) انظر «جامع البيان» (٢٧/ ٢٢١) .

(٢) قلت: هذه الآثار رواها الخطيب في « الكفاية » (١ / ٥١) .

فالأول منها: من طريق محمد بن أحمد بن رزق البزاز، وعلي بن محمد بن بشر السكري ؛ قالا: أنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق، ثنا الحسن بن عبد الوهاب بن أبى العنبر ، ثنا أبو جعفر محمد بن سليمان المنقري البصري، قال ابن مالك العطار: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل؛ وذكر من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ أهل بدر فقال... . قلت : حسن .

والثاني: من طريق أبي عبد الله الحسين بن محمد بن الحسن أخو الخلال، أنا إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكشاني، ثنا محمد بن يوسف الفربري ؛ قال: قال محمد بن إسماعيل البخاري... . قلت: صحيح .

والثالث: من طريق محمد بن عبيد الله المالكي أنه قرأ على القاضي أبى بكر محمد بن الطيب... . قلت: صحيح .

مكتبة المهتدين الإسلامية

اشتهر في لغة العرب أن زوجة الرجل من أهل بيته

قال الإمام الأزهري: « وقال الليث: أهل الرجل: امرأته . والتأهل التزوج، وأهل الرجل: أخص الناس به، وأهل البيت سكانه »[1] .

قلت: قد ورد في القرآن والسنة ما يدل على صحة ما ذهب إليه الليث، فأما القرآن ؛ فقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود:٧٣] ، وقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ [القصص: ٢٩] ، وقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴾ [الأعراف:٨٣] .

وأما السنة: فما رواه البخاري ؛ عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ زَوْجِ النَّبِيِّ ؛ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا ؛ فَبَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ... فَدَعَا رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ بَرِيرَةَ؛ فَقَالَ: « يَا بَرِيرَةُ ! هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ » ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ ؛ تَنَامُ عَنْ الْعَجِينِ ؛ فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ

(١) « تهذيب اللغة » (٦/ ٢٢٠) .

http://www.al-maktabeh.com

الله ـ ﷺ ـ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ـ ﷺ ـ : « مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ؛ فَوَالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلا خَيْرًا »[1].

❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري (٢/ ٩٤٤)، وغيره.

مكتبة المهتدين الإسلامية

إذا اشتمل الجمع على المذكر والمؤنث ؛ غُلّب المذكر على المؤنث[١]

حب آل البيت عبادة ؛ يتقرب بها العبد إلى الله ـ تعالى ـ ولكن لا ينبغي للعبد أن يغلو فيهم ، فيخصص عام القرآن لفرط محبته لهم ؛ فقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] ؛ يشملهم ، ويشمل زوجات النبي ﷺ ـ أمهات المؤمنين ، وبرهان قولي من وجوه:

أولها: أن المتدبر لقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣-٣٤] ؛ يدرك أن سياق الآيات في زوجات النبي ﷺ ولا إشكال في وجود لفظ: (عنكم ، ويطهركم) ؛ « لأنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل، كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك ؟ أي: امرأتك، ونساؤك، فيقول: هم بخير . قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر « تفسير القرطبي » (١٢/ ٢١٠)، و « الإحكام » للآمدي (١ / ٣٠٨). قال ابن منظور في « اللسان » (١٠/ ١٧٣): « كما يقال : القمران: الشمس والقمر » .

http://www.al-maktabeh.com

رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٣] ، والذي يظهر من الآية ؛ أنها عامة في جميع أهل البيت ؛ من الأزواج، وغيرهم، وإنما قال: ويطهركم ؛ لأن رسول الله ـ ﷺ ـ ، وعليًا، وحسنًا، وحسينًا، كان فيهم، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث، غلّب المذكر، فاقتضت الآية ؛ أن الزوجات من أهل البيت، لأن الآية فيهن، والمخاطبة لهن، يدل عليه سياق الكلام، والله أعلم »[1]

ثانيها : أن حديث الكساء[2] لا ينفي دخول غيرهم فيهم ؛ « لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها، والحديث يقتضي أنهم من أهل البيت ؛ لا أنه ليس غيرهم »[3] .

قال ابن تيمية: « فالخطاب كله لأزواج النبي ـ ﷺ ـ ؛ ومعهن الأمر والنهي، والوعد والوعيد ؛ لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن، وتعم غيرهن من أهل البيت، جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره، وليس مختصا بأزواجه ؛ بل هو متناول لأهل البيت كلهم، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، أخص من غيرهم بذلك، ولذلك خصهم النبي ـ ﷺ ـ بالدعاء

---

(١) « تفسير القرطبي » (١٤ / ١٨٣) .

(٢) عَنْ عَائِشَةُ : خَرَجَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ غَدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ ؛ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣] .
رواه مسلم (٤/ ١٨٨)، وغيره .

(٣) « تفسير البيضاوي » (٤/ ٣٧٤) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

لهم، وهذا كما أن قوله: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ [التوبة: ١٠٨] ؛ نزلت بسبب مسجد قباء، لكن الحكم يتناوله ؛ ويتناول ما هو أحق منه بذلك، وهو مسجد المدينة »[١] .

ثالثها: أن سنة النبي ـ ﷺ ـ توافق ظاهر القرآن، وتدخل زوجات النبي ـ ﷺ ـ في عموم أهل البيت، كما روى ذلك الإمام البيهقي: « أخبرنا أبو عبد الله غير مرة، وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ـ من أصله ـ، وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالوا: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا الحسن ابن مكرم، ثنا عثمان بن عمر، ثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة ؛ قالت: في بيتي أنزلت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣]، قالت: فأرسل رسول الله ـ ﷺ ـ إلى فاطمة، وعلي، والحسن، والحسين، فقال: هؤلاء أهل بيتي، وفي حديث القاضي والسمي: هؤلاء أهلي، قالت: فقلت: يا رسول الله أَمَا أنا من أهل البيت ؟ قال: بلى ؛ ـ **إن شاء الله تعالى** ـ . قال أبو عبد الله: هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته »[٢] .

وقد رواه في «الاعتقاد» : « أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، وأبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي... قال الشيخ: وهذا يؤكد ما ذكرنا من دخول آله

---

(١) « منهاج السنة النبوية » (٧ / ٧٤) .

(٢) « سنن البيهقي الكبرى » (٢ / ١٥٠) .

http://www.al-maktabeh.com

وأزواجه في أهل بيته ، وعلينا محبتهم جميعهم ، وموالاتهم في الدين »[١] .

ورواه الحاكم في « المستدرك »[٢] ؛ عن أبي العباس الأصم ؛ بنفس السند ولكن بغير (أَمَا أنا من أهل البيت...) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وأقره الذهبي، وهو كما قالا، ولكن شيوخ البيهقي الثلاثة ـ الذي منهم أبو عبد الله وهو الحاكم ـ أئمة حفاظ كلهم، قد اجتمعوا على حفظ هذه الزيادة من أبي العباس ؛ التي لم يذكرها الحاكم في « المستدرك» عن أبي بكر الفقيه، وأبي العباس الأصم ؛ وهي زيادة مقبولة، ولا يخفى أن الراوي قد يروي الحديث تارة مختصرًا، وتارة مطولاً، وقد تابعهم أيضا من الثقات ؛ الصيرفي عند ابن عساكر ؛ كما سيأتي .

ورواه محيي السنة الإمام البغوي قال: « أخبرنا أبو سعيد: أحمد بن محمد الحميدي ، أخبرنا عبد الله الحافظ... »[٣]؛ هكذا وجدت: ـ عبد الله الحافظ ـ في طبعة دار طيبة، والصواب (أبو عبد الله) ؛ لأن الحديث جاء من طريق البيهقي وابن عساكر بلفظ (أبو عبد الله)، وأبو العباس الأصم: هو من شيوخ الحاكم، والأصم من تلاميذ ابن مكرم، ومما يؤكد هذا ؛ أن البغوي قد روى الحديث نفسه بالإسناد نفسه في « شرح السنة » (١٤/ ١١٦-١١٧) وفيه: (أنا أبو عبد الله الحافظ) ؛ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد .

---

(١) « الاعتقاد» (١ / ٣٢٧) .

(٢) « المستدرك » (٣/ ١٥٨) .

(٣) « معالم التنزيل » (٦/ ٣٥١) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

ورواه ابن عساكر في « التاريخ » بسنده ، واتفق معهما في بقية الرجال ؛ قال: أخبرنا أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك، وأبو نصر: أحمد بن علي ابن محمد بن إسماعيل الطوسي ؛ قالا، أنا أبو بكر بن خلف، أنا أبو عبد الله الحافظ، ح وأخبرنا أبو العلاء : زيد، وأبو المحاسن: مسعود ابنا علي بن منصور بن الراوندي بالري ؛ قالا: أنا قاضي القضاة أبو نصر: أحمد بن محمد ابن صاعد النيسابوري ، أنا أبو سعيد : محمد بن موسى بن الفضل بن شاذان الصيرفي ؛ قالا: نا أبو العباس: أحمد بن يعقوب ـ زاد الحافظ : بانتخاب أبي علي الحافظ عليه ـ نا الحسن بن مكرم ـ زاد الحافظ ابن حسان ـ وقال: أخبرنا ؛ وقال الصيرفي: نا عثمان بن عمر ، نا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار ، عن شريك بن أبي نمر ، عن عطاء بن يسار ، عن أم سلمة... »[١].

وله شاهد عند الطبري: من طريق أبي كريب قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثنا موسى بن يعقوب، قال: ثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتني أم سلمة ؛ فذكر الحديث، وفيه: « فقالت أم سلمة: يا رسول الله ! أدخلني معهم . قال: إنك من أهلي »[٢].

قلت: فيه خالد بن مخلد: صدوق من شيوخ البخاري، روى له في المتابعات ؛ إلا في حديث: « من عادى لي وليًا » وقالوا عنه: كان مفرطًا في

(١) « تاريخ مدينة دمشق » (١٤ / ١٣٧-١٣٨) .

(٢) « جامع البيان » (٢٢ / ٧-٨) .

http://www.al-maktabeh.com

التشيع . وموسى وثقه ابن معين، وابن القطان، وابن حبان، وقال ابن عدي: لا بأس به . وقال أبو داود: صالح . وقال النسائي: ليس بالقوي . وضعفه أحمد، وابن المديني، والدارقطني من قبل حفظه ؛ وبقية رجاله ثقات .

وقد تابع ابن مخلد؛محمد بن خالد كما هو عند الطبراني، حدثنا محمد بن محمد بن عقبة الشيباني، ثنا الحسن بن علي الحلواني، ثنا محمد بن خالد بن عثمة، ثنا موسى بن يعقوب الزمعي...[١] .

قلت: وفي متنه اختلاف ؛ فعند الطبري ؛ جمع عليًا وولديه ـ ﷺ ـ ، وعند الطبراني: جمع فاطمة وولديها ﷺ .

وله شاهد أيضًا عند ابن أبي شيبة ؛ من طريق أبي أسامة، عن عوف، عن عطية أبي المعدل الطفاوي، عن أبيه، قال: أخبرتني أم سلمة... فذكره ؛ وفي آخره « ... ثم قال: اللهم إليك لا إلى النار ، أنا وأهل بيتي ، قالت: فناديته ؛ فقلت: وأنا يا رسول الله. قال: وأنتِ »[٢] .

قلت: عوف ثقة، رمي بالقدر، والتشيع، وعطية ؛ ذكره ابن معين في ثقات التابعين، وابن حبان في « الثقات» وضعفه الأزدي، والساجي، وأبوه: مجهول .

وممن رواه من المحدثين من طريق عوف، عن عطية، عن أبيه، عن أم

---

(١) « المعجم الكبير » (٢٣ / ٣٠٨) .

(٢) « مصنف ابن أبي شيبة » (٦ / ٣٧٠) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

سلمة؛ بلفظ: (وأنتِ): الإمام أحمد في «المسند» (٦ / ٢٩٦، ٦ / ٣٠٤)، وفي «فضائل الصحابة»، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٤ / ١٠٨)؛ ولكنه أسقط والد عطية (٢ / ٥٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣ / ٥٤) (٢٣/ ٣٣٠، ٣٩٣)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (١٣/ ٢٠٢) (١٤/ ١٤٥)، وفي «الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (١/ ٩٢)، والدولابي في «الذرية الطاهرة» (١ / ١٠٩).

وأما الحديث الذي رواه الترمذي؛ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ـ رَبِيبِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]؛ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ، وَحَسَنًا، وَحُسَيْنًا؛ فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ؛ وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ؛ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ؛ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ، وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا**»، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ الله؟ قَالَ: «**أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ، وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ**».

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ؛ مِنْ حَدِيثِ عَطَاءٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ»[(١)].

فـ«معناه أنت خير، وعلى مكانك من كونك من أهل بيتي، ولا حاجة لك في الدخول تحت الكساء، كأنه منعها عن ذلك؛ لمكان عَلِيّ ـ رضي الله عنه ـ»[(٢)].

(١) رواه الترمذي (٥/ ٣٥١)، وغيره.

(٢) «تحفة الأحوذي» (٩ / ٤٨).

http://www.al-maktabeh.com

فإن اعترض معترض بما رواه الطبري ؛ من طريق ابن حميد ؛ قال : ثنا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن حكيم بن سعد، قال: ذكرنا علي بن أبي طالب ﷺ عند أم سلمة ؛ قالت: فيه نزلت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، قالت أم سلمة: جاء النبي ـ ﷺ ـ إلى بيتي فقال: « **لا تأذني لأحد** » ، فجاءت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن ـ ﷺ ـ، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه ، وجاء الحسين ـ ﷺ ـ فلم أستطع أن أحجبه؛ فاجتمعوا حول النبي على بساط ؛ فجلَّلهم نبي الله بكساء كان عليه، ثم قال: « **هؤلاء أهل بيتي؛ فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرًا** » ، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط، قالت: فقلت: يا رسول الله! وأنا؟ قالت: فوالله ما أنعم[1]، وقال: « **إنك إلى خير** »[2] .

فالجواب: أن الحديث منكر ؛ لضعف محمد بن حميد الرازي وشيخه، ومتن الحديث ليس فيه ذكر لعَلِيّ ـ ﷺ ـ، مع أنه من أهل البيت، وهذا من مخالفة الثقات، وإخراجه لأم سلمة ـ رضي الله عنها ـ من عموم أهل بيت النبي ـ ﷺ ـ ؛ مخالف لظاهر القرآن وصحيح السنة .

فإن قال قائل: جوابه ـ ﷺ ـ لأم سلمة ـ رضي الله عنها ـ بأنها من أهله ؛

---

(١) قال ابن منظور في « اللسان » (١٢/ ٥٩٠) « وأنعم له؛ أي: قال له : نعم » .

(٢) « جامع البيان » (٢٢ / ٨) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

لا يدل على أنها من أهل البيت، لأن جوابه ـ ﷺ ـ لها ؛ من جنس جوابه لواثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ »[١] .

فالجواب من وجوه :

أولها: لِمَ لا يقال ؛ أنه من جنس قو له ـ ﷺ ـ لأصحاب الكساء ـ رضي الله عنهم ـ فهو أولى، لأن سياق الآيات في أزواجه ـ ﷺ ـ، والقرآن متواتر، والحديث المستدل به آحاد ؛ مع أننا ـ ولله الحمد ـ نعتد بخبر الآحاد، إن كان من قسم المقبول .

ثانيها: لأن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ من قريش ؛ بخلاف واثلة ـ رضي الله عنه ـ.

ثالثها: لأن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أم المؤمنين ، وهي محرمة عليهم في حياة النبي ـ ﷺ ـ ؛ وبعد وفاته، فقامت مقام النسب .

رابعها: أن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ لما أرادت أن تدخل تحت الكساء

---

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (١٥/ ٤٣٢) ؛ قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم ، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم ، حدثنا الوليد بن مسلم، وعمر بن عبد الواحد قالا: حدثنا الأوزاعي، عن شداد أبي عمار، عن واثلة بن الأسقع قال: سألت عن علي في منزله ؛ فقيل لي: ذهب يأتي برسول الله ـ ﷺ ـ إذ جاء فدخل رسول الله ـ ﷺ ـ ودخلت ، فجلس رسول الله ـ ﷺ ـ على الفراش، وأجلس فاطمة عن يمينه ، وعليًا عن يساره وحسنًا وحسينًا بين يديه، وقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، اللهم هؤلاء أهلي . قال واثلة: فقلت من ناحية البيت: وأنا يا رسول الله من أهلك ؟ قال: وأنت من أهلي. قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجي . قلت: ورواه أيضًا جمع من المحدثين .

http://www.al-maktabeh.com

منعها النبي - ﷺ - ؛ لا لأنها ليست من أهل البيت، كيف وقد صرح - ﷺ - أنها من أهل البيت، وإنما منعها لوجود عليّ - رضي الله عنه - .

فإن قال قائل: فما وجه قوله ﷺ لواثلة : « وأنت من أهلي »؟

قال أبو المحاسن: « لاتباعك إياي، وإيمانك بي، وأهل الأنبياء متبعوهم ؛ يؤيده قوله - تعالى - لنوح : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴾ [هود:٤٦] ؛ فكما خرج ابنه بالخلاف من أهله، فكذلك يدخل المرء في أهله بالموافقة على دينه، وإن لم يكن من ذوي نسبته »[1].

❁ ❁ ❁

(١) « معتصر المختصر » (٢ / ٢٦٧).

مكتبة المهتدين الإسلامية

اشتهر في لغة العرب ؛ أن آل الرجل هم أهله

قال ابن منظور: « وآل الرجل: أهله وعياله[١].

قال الرازي: « وآل الرجل: أهله وعياله ، وآله أيضا أتباعه»[٢].

قال البيهقي: «البيان لما قصدناه في إطلاق النبي ـ ﷺ ـ الآل ؛ ومراده من ذلك أزواجه، أو هن داخلات فيه .

أخبرنا أبو محمد: عبد الله بن يوسف، أنبأ أبو سعيد بن الأعرابي، ثنا ابن عفان ـ يعني الحسن بن علي بن عفان ـ ثنا أبو أسامة، عن الأعمش ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا**».

رواه مسلم في « الصحيح » عن أبي سعيد وعثمان ، عن أبي أسامة ، وأخرجه البخاري من وجه آخر عن عمارة...

وروينا عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: « ما شبع آل محمد ـ ﷺ ـ من طعام ثلاثة أيام حتى قبض »[٣].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: « إنا كنا آل محمد ـ ﷺ ـ لنمكث شهرًا؛ ما نستوقد بنار، إنما هو التمر »[٤].

---

(١) « لسان العرب » (١١ / ٣٧).

(٢) « مختار الصحاح » (١ / ١٣).

(٣) رواه البخاري (٥ / ٢٠٥٥)، ومسلم (٤ / ٢٢٨١)، وغيرهما، واللفظ للبخاري .

(٤) رواه البخاري (٥/ ٢٣٧٢)، ومسلم (٤ / ٢٢٨٢)، واللفظ لمسلم .

http://www.al-maktabeh.com

وأشار أبو عبد الله الحليمي ؛ إلى أن اسم أهل البيت للأزواج تحقيق، واسم الآل لهن تشبيه بالنسب، وخصوصًا أزواج النبي ـ ﷺ ـ لأن اتصالهن مرتفع، وهن محرمات على غيره ؛ في حياته وبعد وفاته، فالسبب الذي لهن به قائم مقام النسب »[1].

❁ ❁ ❁

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٢/ ١٥٠-١٥١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

لا يدل لفظ الماضي ـ دائماً ـ على الحدث الذي وقع في الزمان الذي قبل زمان التكلم ؛ بل قد يكون ماضي اللفظ مضارع المعنى ؛ يقتضي الطلب والدعاء، فمن قال عن مسلم : رحمه الله ، أو قدس الله روحه ، وما أشبه ذلك، وكان مراده الدعاء ؛ لا الإخبار، فكلامه موافق للشرع واللغة، ولا إثم عليه ، ولا حرج ، وهو مأجور غير مأزور

اعلم أن الفعل في اللغة هو: الحدث .

وفي اصطلاح النحاة : كلمة دلت على معنى في نفسها، واقترنت بأحد الأزمنة الثلاثة ؛ التي هي: الماضي، والحال، والمستقبل .

وعليه ؛ فإنه ينبغي مراعاة اللفظ والمعنى في الفعل، فقد يكون اللفظ ماضيًا، والمعنى مستقبلاً يقتضي الطلب، مثال ذلك: « رحمه الله ، وقدس الله روحه، وما أشبه ذلك » .

فمن نظر إلى اللفظ دون المعنى ؛ حمله على الخبر، وعده من شرك الربوبية ؛ وقال: وما يدريك أن الله ـ تعالى ـ رحمه، أو قدس روحه .

ومن قال: هو ماضي اللفظ ؛ دون المعنى، حمله على الدعاء ، وهذا هو الحق ؛ لوجوده في القرآن، وفي كلام العرب، وهذا بحث نفيس يخدم طالب العلم في فهم الكتاب والسنة، وفي الرد على من يفسر كتاب الله ـ تعالى ـ على غير مراده كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم

http://www.al-maktabeh.com

وأشار أبو عبد الله الحليمي ؛ إلى أن اسم أهل البيت للأزواج تحقيق، واسم الآل لهن تشبيه بالنسب، وخصوصًا أزواج النبي ـ ﷺ ـ لأن اتصالهن مرتفع، وهن محرمات على غيره ؛ في حياته وبعد وفاته، فالسبب الذي لهن به قائم مقام النسب »[1].

❁ ❁ ❁

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٢/ ١٥٠-١٥١).

مكتبة المهتدين الإسلامية

لا يدل لفظ الماضي ـ دائماً ـ على الحدث الذي وقع في الزمان الذي قبل زمان التكلم ؛ بل قد يكون ماضي اللفظ مضارع المعنى ؛ يقتضي الطلب والدعاء، فمن قال عن مسلم : رحمه الله، أو قدس الله روحه، وما أشبه ذلك، وكان مراده الدعاء ؛ لا الإخبار، فكلامه موافق للشرع واللغة، ولا إثم عليه، ولا حرج، وهو مأجور غير مأزور

اعلم أن الفعل في اللغة هو: الحدث .

وفي اصطلاح النحاة : كلمة دلت على معنى في نفسها، واقترنت بأحد الأزمنة الثلاثة ؛ التي هي: الماضي، والحال، والمستقبل .

وعليه ؛ فإنه ينبغي مراعاة اللفظ والمعنى في الفعل، فقد يكون اللفظ ماضيًا، والمعنى مستقبلاً يقتضي الطلب، مثال ذلك: « رحمه الله ، وقدس الله روحه، وما أشبه ذلك » .

فمن نظر إلى اللفظ دون المعنى ؛ حمله على الخبر، وعده من شرك الربوبية ؛ وقال: وما يدريك أن الله ـ تعالى ـ رحمه، أو قدس روحه .

ومن قال: هو ماضي اللفظ ؛ دون المعنى، حمله على الدعاء ، وهذا هو الحق ؛ لوجوده في القرآن، وفي كلام العرب، وهذا بحث نفيس يخدم طالب العلم في فهم الكتاب والسنة، وفي الرد على من يفسر كتاب الله ـ تعالى ـ على غير مراده كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم

http://www.al-maktabeh.com

بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد:١٨] ؛ فيقول: قد جاءت أشراط الساعة وانتهت ؛ لأن جاء: فعل ماض، مبني على الفتح .

قلت: يلزمه أن يقول في قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس:٥١][1]، قد نفخ في الصور، وقام الناس من قبورهم، ويلزمه أن لا يقول: جزاك الله خيرا ؛ لمن يسدي إليه معروفًا، ولا يفرح إذا قيل له: حفظك الله، ورعاك الله، ووفقك الله، وأكرمك الله!

فإن قال قائل: بل الواجب أن يقول: يرحمه الله ؛ ولا يقول: رحمه الله ؛ لأنه ادعاء للغيب .

قلنا له: قولك فيه نظر، فإن قال : ولِمَ؟ قلنا: جوابنا في سؤالك، وهو ما تعريف الفعل المضارع عند النحاة ؟ فإن قال هو: ما دل على حدث يقع في زمان التكلم، أو بعده . قلنا : يلزمك أن الله ـ تعالى ـ يرحمه الآن، وفي المستقبل ؛ فظهر أنه لا فرق بين اللفظين ؛ إذا نظر إلى ظاهرهما، والتحقيق ما سبق بيانه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

ومما يستأنس به؛أنَّ أئمة الدين كانوا يستخدمون عبارة: (رحمه الله)؛ كالحسن البصري، وابن المبارك، والشعبي، والشافعي، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وابن جرير الطبري، واللالكائي، وابن عبد البر،

---

(١) وفي قراءة الحسن: « ونفخ في الصُوَر » ؛ جمع صورة ، وهي قراءة غير متواترة .

مكتبة المهتدين الإسلامية

والنووي، وابن تيمية، وابن القيم، والذهبي، والحافظ ابن حجر، وغير هؤلاء خلق كثير، لو أراد أن يجمعهم جامع ؛ لاحتاج إلى سفر كبير، وممن استخدم عبارة: (رحمه الله) في عصرنا من العلماء ؛ الشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين ـ رحمهم الله ـ .

ومن أراد الزيادة في هذا الموضوع ؛ فعليه بـ « أضواء البيان » (٣/ ٢٠٨)، و« النحو الوافي » (١/ ٥١-٦٥)، و« الإنصاف في مسائل الخلاف » (١/ ٢٥٥) .

❁ ❁ ❁

http://www.al-maktabeh.com

التوكيد المعنوي يرفع احتمال المجاز عند من يقول به ، ويدفع توهم مضاف إلى المؤكَّد

وأما التوكيد المعنوي فهو: « التابع ؛ الذي يرفع احتمال السهو، أو التجوز في المتبوع » .

وهذا النوع من التوكيد يرفع احتمال المجاز عند من يقول به ، فقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر:٣٠] ؛ يدل على أن السجود وقع من جميع الملائكة، لا من بعضهم، وفي هذا بيان لخطأ من فسر (العالين) من قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾[ص:٧٥] ؛ بصنف من الملائكة يقال لهم : (المهيمنون) ؛ لم يسجدوا لآدم ـ ﷺ ـ .

ومع مخالفة هذا التفسير لقواعد العربية ؛ فإنه ليس عليه دليل من كتاب الله ـ تعالى ـ ولا من سنة النبي ـ ﷺ ـ ، ولم يقل به واحد من سلفنا الصالح .

مكتبة المهتدين الإسلامية

إذا سبقت ياء الإضافة بساكن ؛جاز تحريكها عند العرب إلى الفتح والكسر

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[إبراهيم:٢٢] .

قرأ الجمهور (بمصرخِيَّ) ؛ بالفتح، وقرأ حمزة (بمصرخيِّ) ؛ بالكسر.

« وأصل الكلمة (بِمُصْرِخِيْنِي)، حذفت النون عندما أضيفت إلى ياء المتكلم ، فصارت (مُصْرِخِيْ)، ثم أدغمت ياء الجماعة الساكنة ؛ في ياء المتكلم، ثم حركت إلى الفتح والكسر ؛ فمن فتح راعى الخفة في اللفظ ؛ فتخلص من التقاء الساكنين بالفتح فرارًا من الثقل، واجتماع الكسر والياء، ومن كسر راعى أصل اللغة في التخلص من التقاء الساكنين »[1] .

قلت: قد عاب جمع من النحاة قراءة الكسر، وتتلخص أقوالهم في أربعة مطاعن:

الأول: اتهام الإمام حمزة بالوهم، والغلط .

---

(١) « الحجة في القراءات السبع » (١/ ٢٠٣) بتلخيص ، وتصرف .

http://www.al-maktabeh.com

الثاني: نفي سماع الكسر عن العرب .

الثالث: رداءة لغة الكسر، وضعفها .

الرابع: قولهم ؛ إذا سبقت ياء الإضافة بساكن ؛ لزم تحريكها إلى الفتح.

أقول ـ والله تعالى المستعان ، ومنه التوفيق والسداد ـ : إن المطعن الأول فيه نظر من وجوه:

أولها: أن مبنى التوهيم على الظن ، والظن لا يغني من الحق شيئًا ، وهو أكذب الحديث .

ثانيها: أن توهيم الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ بغير بينة ؛ من الرجم بالغيب .

ثالثها: أن القراءة نقلت بالتواتر، ولم ينفرد بها حمزة، ولو انفرد بها لاستتيب ؛ كما فُعِل بابن شنبوذ في عصر ابن مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ والظاهر ممن يتبنى هذا القول، أنه ليس من الراسخين في علم القراءات، ومما يقوي هذا ؛ أن ابن حجر قد نقل الإجماع على قبول هذه القراءة ؛ فقال: « وقد انعقد الإجماع بأخرة ؛ على تلقي قراءة حمزة بالقبول، ويكفي حمزة شهادة الثوري له، فإنه قال: ما قرأ حمزة حرفًا إلا بأثر »[1] .

قلت: وممن حسَّن القراءة، شيخ القراء والعربية ؛ أبو عمرو بن العلاء ؛ كما نقل ذلك عنه أبو زرعة ؛ قال الجعفي : «سألت أباعمرو عن قوله: ﴿ بِمُصْرِخِيِّ ﴾ فقال : إنها بالخفض لحسنة »[2] .

---

(١) « تهذيب التهذيب » (٣ / ٢٤) .

(٢) « حجة القراءات » (١ / ٣٧٨) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

وأما المطعن الثاني : فمردود ؛ لأن نفيهم السماع يدل على عدم سعة الاطلاع ، وقد ثبت أن العرب قد نطقت به ، وبرهان ذلك ما ذكره مكي في « الكشف » (٢/ ٢٦) عن المخضرم الأغلب العجلي ، حيث قال :

مَاضٍ إِذَا مَا هَمَّ بِالْمُضِيِّ ∴ قَالَ لَهَا هَلْ لَكِ يَا تَافِيِّ

قال القرطبي: « وقال قطرب : « هذه لغة بني يربوع ، يزيدون على ياء الإضافة ياء »[١].

وأما المطعن الثالث: فيكفي في رده تواتر هذه اللغة، وثبوتها عن العرب؛ فكم من قراءة وافقت المشهور من اللغة، والفاشي من العربية، ولكنها لم تعضد بالنقل المتواتر، حكم عليها بالشذوذ، ومن له عناية بهذا الفن علم ذلك .

وما أحسن ما ذكره القرطبي: « والذي يغني عن هذا ؛ أن ما يثبت بالتواتر عن النبي ـ ﷺ ـ ؛ فلا يجوز أن يقال فيه: هو خطأ، أو قبيح، أو رديء ؛ بل هو في القرآن فصيح، وفيه ما هو أفصح منه »[٢].

وأما المطعن الرابع: فإن ما قعّدوه لا يشمل جميع لغة العرب ؛ فدل على قصور القاعدة ؛ وفيما تقدم دليل على ذلك .

والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات .

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » (٩ / ٣٥٧) .

(٢) نفس المرجع السابق .

http://www.al-maktabeh.com

الأدب مع الله ـ تعالى ـ عبادة، ومما يعد منها؛ طريقة الإعراب

* ينبغي أن يُعربَ الفعل المبني للمجهول، ونائب الفاعل، بلفظ يليق بالله ـ تعالى ـ، فتقول في الأول: (مبني للمفعول) وفي الثاني: (مفعول لما لم يسم فاعله)؛ خلافًا لما جرى عليه كثير من المُعْرِبين.

قال عباس حسن عن نائب الفاعل: «يسميه كثير من القدماء: المفعول الذي لم يسم فاعله»[1].

قلت: وهذا الذي تطمئن إليه النفس، وهو من الأدب مع الله ـ تعالى ـ لا سيما مع كلمة (الإِنْسَانُ) من قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨]؛ فإنه يثقل على النفس أن يقال (خُلِقَ): فعل ماض مبني للمجهول.

وهل الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ مجهول ـ سبحانه ـ هو أعرف المعارف؛ كما قال سيبويه.

وكذلك تنفر الطباع من إعراب (الإِنْسَانُ) بنائب فاعل!

ومن هو فاعل الخلق؟! إنه الله ـ تعالى ـ خالق كل شيء، وهل ينوب عنه أحد؟!

وما اخترناه من الإعراب؛ فإنه يربِّي في النفس تعظيم الله ـ تعالى ـ، ويغرس فيها التوحيد.

---

(١) في «النحو الوافي» (٢/ ٩٧).

مكتبة المهتدين الإسلامية

فإن قال قائل: وما قولك فيما ذكره ابن هشام: « نائب الفاعل، وهو الذي يعبرون عنه بمفعول ما لم يسم فاعله ، والعبارة الأولى أولى ؛ لوجهين أحدهما:

أن النائب عن الفاعل يكون مفعولاً وغيره ؛ كما سيأتي .

والثاني : أن المنصوب في قولك: أعطي زيد دينارًا، يصدق عليه أنه مفعول للفعل الذي لم يسم فاعله، وليس مقصودًا لهم »[١].

فالجواب ما قاله الباجوري: « لكن أجيب عن الأصل ؛ بأن الكلام في المرفوعات، فلا يرد درهمًا من نحو قولك: أعطي زيد درهمًا ؛ لأنه منصوب، وبأنه اقتصر على المفعول لأنه الأصل في النيابة، وأجيب أيضًا ؛ بأن المفعول الذي لم يسم فاعله ؛ صار علَمًا على النائب عن الفاعل »[٢].

وكذلك أرى أن تعرب أسماء الله الحسنى ؛ التي وقع عليها الفعل، وكذا الضمير الذي يعود عليه ـ سبحانه وتعالى ـ بلفظ فيه أدب مع الله ـ تعالى ـ فتقول: « منصوب على التعظيم »، وإنما قلت ذلك ؛ من باب تعظيم ربنا ـ عز وجل وعلا ـ . وقد سبقني إلى ذلك محمد محيي الدين عبد الحميد ـ رحمه الله تعالى ـ ، فإن اعترض معترض بأشياء في إعراب الاسم الأحسن؛ (الله) ، فنقول « ما لا يدرك كله لا يترك كله »[٣].

---

(١) « شرح شذور الذهب » (١ / ٢٠٧) .

(٢) « فتح رب البرية » (٣٣) .

(٣) « عون المعبود » (١٠/ ٢٣٣) .

http://www.al-maktabeh.com

وكذلك أرى أن يقال لكل اسم من أسماء الله الحسنى عند إعرابه: « الاسم الأحسن » ؛ لأن الله ـ تعالى ـ وصف أسماءه بـ(الحسنى) .

قال ابن منظور: « وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] تأنيث الأحسن . يقال: الاسم الأحسن، الأسماء الحسنى »[(١)] .

وقال القرطبي: « السوءى، فُعْلَى من السوء، تأنيث الأسوأ، وهو الأقبح ؛ كما أن الحسنى تأنيث الأحسن »[(٢)] .

وزيادة على ما تقدم من دليل القرآن، واللغة، وأهل التفسير ؛ فإني أستأنس بقول من قال: « الاسم الكريم » ؛ كابن عقيل في « شرح الألفية » ، « ولفظ الجلالة » كابن هشام في « مغني اللبيب » ، وعبارة: « الاسم الأحسن » مقدمة على العبارتين ؛ لأن الدليل يؤيدها، ولا أعلم أحدًا من أهل العلم سبقني إليها، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وكذلك لا ينبغي إطلاق الزائد في كتاب الله ـ تعالى ـ، وإن كان بعض النحاة قد عبَّر به عند إعراب بعض الحروف ؛ لما قاله السيوطي: « الثاني عشر: أن يجتنب إطلاق لفظ الزائد في كتاب الله ـ تعالى ـ فإن الزائد قد يفهم منه ؛ أنه لا معنى له »[(٣)] .

قلت : لو اصطلح على تسميتها (بحروف التقوية) ؛ لكان هو اللفظ

---

(١) في « اللسان » (١٣ / ١١٦) .

(٢) « الجامع لأحكام القرآن » (١٤ / ١٠) .

(٣) « الإتقان » (١ / ٥٣٥) .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الذي يليق بكتاب الله ـ تعالى ـ لأن العلماء قالوا: « إن جميع ما قيل فيه زائد في كتاب الله ـ تعالى ـ فائدته التوكيد » ؛ وإنما اخترت هذه التسمية ؛ خشية اللَّبْس بحروف التوكيد .

http://www.al-maktabeh.com

تنبيه

* القواعد التي لم تعز ؛ إما أني أخذتها من أقوال العلماء الذين نقلت كلامهم في شرح القاعدة، وإما أني تركت العزو لشهرتها في كتب أهل العلم وعند العلماء، والثاني نزر .

* مسائل اللغة والنحو التي لم تعز؛ أخذتها من كتابي « الشواهد القرآنية لشرحي متن ونظم الآجرومية » يسر الله ـ تعالى ـ طباعته ، وهو تهذيب لـ« التحفة السنية »، واقتصرت في أمثلته على ما تواتر من كلام، اللهم إلا ما تعذر وجوده، فالتمسته في القراءات التي لم تتواتر، فإن لم أجد فمن السنة الصحيحة، فإن لم أجد، فمن الكَلِم الطيب، واخترت الآيات التي شملت عقيدة أهل السنة والجماعة إجمالاً، ومنها ما يكون تفصيلاً .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ،
أستغفرك وأتوب إليك

تم بحمد الله ـ تعالى ـ .

❁ ❁ ❁

مكتبة المهتدين الإسلامية

قائمة المراجع

* أَثْبَتُ المراجعَ في هذا المؤلَّف وحواشيه، ورجعت إلى البرامج الآتية:

١- برنامج إعراب القرآن.....
٢- برنامج مصحف الدوالج ..... شركة الدوالج
٣- برنامج مكتبة شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم..... مركز التراث
٤- برنامج مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية..... مركز التراث
٥- برنامج مكتبة التفسير وعلوم القرآن..... مركز التراث
٦- برنامج مكتبة العقائد والملل..... مركز التراث
٧- برنامج مكتبة الفقه وأصوله..... مركز التراث
٨- برنامج مكتبة المعاجم والغريب والمصطلح..... مركز التراث
٩- برنامج مكتبة النحو والصرف..... مركز التراث
١٠- برنامج موسوعة الحديث الشريف ..... شركة البرامج الإسلامية الدولية
١١- برنامج القرآن الكريم..... شركة البرامج الإسلامية الدولية
١٢- برنامج المكتبة الألفية للسنة النبوية..... مركز التراث
١٣- برنامج موسوعة الشعر العربي..... شركة العريس

* جزى الله ـ تعالى ـ مصدريها عن أمة الإسلام خير الجزاء.

http://www.al-maktabeh.com

المحتويات

- المقدمة ٥
- عقيدتي ٧
- موجز في تعريف الفِرَق التي مرَّ ذكرها في المتن ١٧
- التفويض في صفات الله ـ تعالى ـ عند أهل السنة والجماعة مختص بتفويض الكيف لا المعنى، إذ المعنى معلوم من لغة العرب ٢١
- التوكيد بالمصدر يرفع احتمال المجاز ـ حتى عند من يقول به ـ لأن أفعال المجاز عندهم لا تؤكد بالمصدر ٢٥
- كلام الله ـ تعالى ـ من وراء حجاب من أقسام كلامه ، وهذا يدل على أن الله ـ تعالى ـ يتكلم بصوت وحرف يليق بجلاله ٢٩
- جَعَل في لغة العرب؛ لا تكون دائماً بمعنى: خَلَقَ ٣٦
- إضافة الصفة للموصوف، ليست كإضافة الملك للمالك ٣٩
- اشتهر في كلام العرب؛ إطلاق الجمع والإفراد على المثنى ٤٣
- لا يلزم من اتفاق التسمية؛ اتفاق المسميات ومقتضياتها، فإثبات صفات الله ـ تعالى ـ لا يوجب التشبيه ٥٣
- (فوق): ظرف مكان، وفيه إثبات علو الله ـ تعالى ـ على خلقه علوًا مطلقًا من كل وجه ٥٧
- حرف الجر (في): الذي من معانيه العلو، و(أين) : وهو اسم استفهام عن مكان يثبتان لله ـ تعالى ـ الجهة ٥٩
- استواء الله ـ تعالى ـ على عرشه؛ صفة من صفاته؛ وتأويله بالاستيلاء مخالف للنقل، والعقل، والعربية ٦٢
- المعية في اللغة لا تنافي العلو، ولا يلزم منها الاتحاد والحلول، ٦٧
- اشتهر في كلام العرب أن (مِنْ) بمعنى (عند) ٧٧
- الحجاب الذي ورد في الحديث؛ يحجب الخلق، ولا يحجب الخالق ـ سبحانه ـ وإضافته إلى الله ـ تعالى ـ من باب إضافة الملك للمالك؛ وليس من باب إضافة الصفة للموصوف ٧٩
- لا يوصف ربنا ـ عز وجل ـ بمعنى البدل المباين لكمال ذاته وصفاته ٨٣

مكتبة المهتدين الإسلامية

- دخول (إلى) مع النظر؛ يدل على نظر العين؛ فالتعدية بها ينفى معنى الانتظار، ويثبت أن المؤمنين سيرون ربهم عِيانًا يوم القيامة ٨٥
- (لن) حرف نفي لا يفيد التأبيد ـ خلافًا لمن زعمه ـ لينفي رؤية المؤمنين لربهم ـ سبحانه ـ يوم القيامة، ولو كان يفيد التأبيد؛ لما قيدته العرب بالزمان، ولم يأت استقبال المنفي بها، مغيًّا إلى غاية ٨٧
- استعملت العرب ضمير المتكلم المتعدد للواحد المعظم لنفسه؛ فإذا أسند الفعل لله ـ تعالى ـ بضمير الجمع؛ فهو للتعظيم ٨٩
- إذا وقع خبر كان صفة لله ـ تعالى ـ فهو على التأبيد والدوام، من غير انقطاع؛ لأن صفات الله ـ تعالى ـ أزلية أبدية ٩١
- الواو العاطفة تدل على مطلق الجمع، ولا تفيد الترتيب؛ فهي تدل على التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي أسند إليهما، فَجَمْعُ مشيئة الله ـ تعالى ـ مع مشيئة العبد بحرف الواو؛ لا يدل على أن مشيئة الله ـ تعالى ـ مقدمة على مشيئة العبد، ولا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ـ تعالى ـ فأفضت إلى تشابه المشيئتين، وأما ثُمَّ؛ فتفيد الجمع والترتيب، ولا يُشْرك ما بعدها بما قبلها، فمن قال: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وفلان، وما أشبه ذلك، فقد أشرك بالله ـ تعالى ـ ٩٣
- إذا سبقت إلا بنفي أو نهي أو استفهام إنكاري كانت أداة حصر وسمي الاستثناء عندئذ بالمفرَّغ ٩٧
- لام الجر تؤدي عدداً من المعاني؛ ومن معانيها: الاختصاص ٩٩
- الجنة والنار موجودتان الآن لا تفنيان أبدًا، ولا يفنى جزء منهما، ويدل على ذلك الفعل الماضي، وظرف الزمان ١٠١
- مما يفيد العموم عند أهل اللغة المفرد المضاف والنكرة في سياق النفي والنهي والشرط ١٠٥
- إذا دخلت (أل) على الاسم المنكر فأفادت التعريف فإما أن تكون عهدية أو جنسية ١١٢
- اشتهر في لغة العرب أن زوجة الرجل من أهل بيته ١٢١
- إذا اشتمل الجمع على المذكر والمؤنث؛ غُلّب المذكر على المؤنث ١٢٣
- اشتهر في لغة العرب؛ أن آل الرجل هم أهله ١٣٣

http://www.al-maktabeh.com

- لا يدل لفظ الماضي ـ دائماً ـ على الحدث الذي وقع في الزمان الذي قبل زمان التكلم ؛ بل قد يكون ماضي اللفظ مضارع المعنى ؛ يقتضي الطلب والدعاء ، فمن قال عن مسلم : رحمه الله ، أو قدس الله روحه ، وما أشبه ذلك، وكان مراده الدعاء ؛ لا الإخبار ، فكلامه موافق للشرع واللغة ، ولا إثم عليه ، ولا حرج ، وهو مأجور غير مأزور ١٣٥
- التوكيد المعنوي يرفع احتمال المجاز ـ عند من يقول به ـ ويدفع توهم مضاف إلى المؤكَّد ... ١٣٨
- إذا سبقت ياء الإضافة بساكن ؛جاز تحريكها عند العرب ١٣٩
- الأدب مع الله ـ تعالى ـ عبادة، ومما يعد منها؛ طريقة الإعراب..... ١٤٣
- تنبيه..... ١٤٧
- قائمة المراجع ١٤٩
- قائمة المحتويات ١٥٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

مكتبة المهتدين
www.al-maktabeh.com

قريبـــــاً

يصدر للمؤلف ـ إن شاء الله تعالى ـ

* تنبيه الساجد على تهاون الأئمة والمأمومين في الجمع بين الصلاتين في المساجد.
* الشواهد القرآنية، لشرحي متن ونظم الآجرومية
* المقدمة النافعة، لمن كان له قلب وأذن سامعة
* فتح المنان في صيام السبت في غير رمضان (الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة)

http://www.al-maktabeh.com